٢١٠

الجزء الاول من التفسير للقران

للامام العلامة محمود الزمخشري المسمى بالكشاف

١٨٠ ورق

بسم الله الرحمن الرحيم ● رب يسر واعن
الحمد لله الذي انزل القران كلاما مولفا منظما ● ونزله بحسب المصالح
منجما ● وجعله بالتحميد مفتتحا ● وبالاستعاذة مختتما ● واوحاه على قسمين
متشابها ومحكما ● وفصله سورا وسوره ايات ● وميز بينهن بفصول
وغايات ● وما هي الا صفات مبتدا مبتدع ● وسمات منشا مخترع ●
فسبحان من استاثر بالاولية والقدم ● ووسم كل شي سواه بالحدوث
عن العدم ● انشاه كتابا ساطعا تبيانه ● قاطعا برهانه ● وحيا ناطقا
ببينات وحجج ● قرانا عربيا غير ذي عوج ● مفتاحا للمنافع الدينية
والدنياوية ● مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية ● معجزا باقيا
دون كل معجز على وجه كل زمان ● دايرا من بين ساير الكتب على كل لسان ● في كل
مكان ● افحم به من طولب بمعارضته من العرب العربا ● وابكم به من تحدى
به من مصاقع الخطبا ● فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من
فصحايهم ● ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغايهم ● على
انهم كانوا اكثر من حصا البطحا ● واوفر عددا من رمال الدهنا ● ولم
ينبض منهم عرق العصبية ● مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضا
رة ● والقايهم الشراشر على المعازة والمعارة ● ولقايهم دون المناضلة عن
احسابهم الخطط ● وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ● ان اتاهم احد بمفخرة
اتوه بمفاخر ● وان رماهم بماثرة رموه بماثر ● وقد جرد لهم الحجة اولا
والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده ● على ان السيف القاضب
مخراق لاعب ان لم يمض الحجة حده ● فما اعرضوا عن معارضة الحجة
الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب ● وان الشمس قد اشرقت
فطمست نور الكواكب ● والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي
القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ● ذي اللوا المرفوع
في بني لوي ● ذي الفرع المنيف في بني عبد مناف بن قصي ● المثبت
بالعصمة المويد بالحكمة الشارح الصدر والواضح الحجة ● النبي الامي

الكتوب

المكتوب في التورية والانجيل ● وعلى اله الاطهار ● وخلفايه من الا ختان
والاصهار ● وعلى جميع المهاجرين والانصار ● اعلم ان متن كل علم وعمود
كل صناعة طبقات العلما فيه متدانية ● واقدام الصناع فيه متقاربة
او متساوية ● ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا يسيرة ● او تقدم
الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة ● وانما الذي تباينت
فيه الرتب ● وتحاكت فيه الركب ● ووقع فيه الاستباق والتناضل
وعظم فيه التفاوت والتفاضل ● حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد ●
وترقى الى ان عد الف بواحد ● ما في العلوم والصناعات من
محاسن النكت والفقر ● ومن لطايف معان يدق فيها مباحث الفكر
ومن غوامض اسرار محتجبة ● وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة
الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك
حقايقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم
واطلاقهم ● ثم ان املا العلوم بما يغمر القرايح وانهضها بما يبهر الالباب
القوارح ● من غرايب نكت يلطف مسلكها ● ومستودعات اسرار
يدق سلكها ● علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه ● واجالة النظر فيه
كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القران ● فالفقيه وان برز
على الاقران في علم الفتاوى والاحكام ● والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صنا عة
الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ
والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ ● والنحوي وان كان
انحى من سيبويه ● واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى
احد منهم لسلوك تلك الطرايق ● ولا يغوص على شي من تلك الحقايق
الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم المعاني وعلم البيان
وتمهل في ارتيادهما اونة ● وتعب في التنقير عنهما ازمنة ● وبعثه
على تتبع مظانهما همة في معرفة لطايف حجة الله ● وحرص على
استيضاح معجزة رسول الله ● بعد ان يكون اخذا من ساير العلوم بحظ

جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المرا
جعات قد رجع زماناً ورجع إليه ورد ورد عليه فارساً
في علم الإعراب مقدماً في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل
الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها . يقظان النفس
دراكاً للمحة وإن لطف شأنها منتبهاً على الرمزة وإن خفي مكانها
لا كزاً جاسياً ولا غليظاً جافياً . متصرفاً ذا دربة مرتاضاً عن رياض
بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب . الكلام ويؤلف . وكيف ينظم
ويرصف . طالما دفع إلى مضايقه . ووقع في مداحضه . ومزالقه
ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية
الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية . كلما رجعوا إليّ
في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب . أفاضوا في الاستحسان
والتعجب واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك حتى
اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل
وعيون الأقاويل . في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة
والاستشفاع بعظماء الدين . وعلماء العدل والتوحيد . والذي
حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه علي واجبة
لأن الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله
وركاكة رجاله . وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلاً أن
تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان وأمليت عليهم مسألة
في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاماً
مبسوطاً كثير السؤال والجواب . طويل الذيول وإنما حاولت به التنبيه
على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم مناراً ينتحونه ومثالاً يحتذونه
فلما صمم العزم على معاودة جوار الله . والإناخة بحرم الله فتوجهت
تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل
ما هم عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك الملي متطلعين إلى إيناسه حراصاً

على اقتباسه

على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما
حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية
الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن حمزة
بن وهاس وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم
مناقبهم أعطش الناس كبداً وألهبهم حشاً وأوفاهم رغبة حتى ذكر
أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما فيه من المشاغل
بقطع الفيافي . وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى
إصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفي الحيل وعيت
به العلل ورأيتني قد أخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت
العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب . فأخذت في طريقة أخصر
من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر . ووفق
الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي
الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة وما هي إلا آية من آيات
هذا البيت المحرم . وبركة أفيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم
أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سبباً ينجيني ونوراً لي على الصراط
يسعى بين يدي وبيميني . ونعم المسؤول سورة فاتحة الكتاب
مدنية وقيل مكية ومدنية لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى
أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو أهله
ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية
لذلك وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لأ
نها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي
سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم
من [illegible] مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم
قرا المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من
الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما

بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه
ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقرا الكوفة ومكة وفقهاها
على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي رضي الله عنه واصحابه
ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم
بتجريد القران ولذلك لم يثبتوا امين فلولا انها من القران لما اثبتوها
وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مايه واربع عشرة اية من كتاب الله
فان قلت بم تعلقت البا التسمية معقولة قلت بمحذوف تقديره باسم الله
اقرا او اتلوا لان الذي يتلوا التسمية مقرؤ كما ان المسافر اذا حل او ارتحل
فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك
الذابح وكل فاعل يبدا في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدا
له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون وقومه
اي اذهب في تسع ايات وكذلك قول العرب في الدعا للمعرس بالرفا
والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله
فقلت الى الطعام فقال منهم ٭ فريق يحسد الانس الطعاما ٭ فان قلت
لم قدرت المحذوف متاخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو
المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسما الهتهم فيقولون باسم اللات باسم
العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالا
بتدا وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله تعالى اياك نعبد
حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه بسم الله مجريها
ومرسيها فان قلت فقد قال اقرا باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك
تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان
قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق
بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المومن لما اعتقد
ان فعله لا يجي معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر الله — اسم صح
لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه بسم الله فهو ابتر الا كان

فعلا

فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني
ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا
باسم الله اقرا وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفا والبنين معناه اعرست
ملتبسا بالرفا والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت فكيف
قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرا قلت هذا مقول على السنة العباد
كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى اخره
وكثير من القران على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه
وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي
هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتدا وواو العطف وفايه وغير ذلك
فما بال لام الاضافة وبايها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها
وبين لام الابتدا واما البا فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسما
العشرة التي بنوا اوايلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدين زادوا همزة لئلا
يقع ابتداوهم بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على
الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام
والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شي ومنهم من لم يزدها
واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة
سمه وهو من الاسما المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل
تصريفه كاسما وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه
بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع
الصوت والنبر قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط
واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتدا
الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت البا تعويضا من طرح
الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول البا واظهر السينات
ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره
الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا حذفت

(هامش:) جاءت على حرف واحد ان يبنى على الفتحة التي

الهمزة وعوض منها حرف التعريف وكذلك قيل في النداء يا الله بالقطع
كما يقال يا اله والاله من اسما الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على
كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب
ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب
على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق
على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر
في الاشتقاق من لفظ الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم
غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شي اله كما لا تقول شي رجل
وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا
بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية
على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت
معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا
الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى
التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش
الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان
قلت هل لتفخيم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك
العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان
من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه
كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك
قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء
لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلي غضبا ومما طن على
اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو
مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم
ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف
قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بنا الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات

الغالبة

واختصاصه بما يعظم ان يكون ... فعلان فعلى

الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل
كما ان الله من الاسما الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة
وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في
كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته
من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط
في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر
ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة
كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الر
جوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى
وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو والرحم لانعطافها على ما فيها
قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته رق
لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة
عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت ما هو المقدم من الوصفين
على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير
وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم
وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق
منها ولطف الحمد والمدح اخوان وهو الثنا والندا على الجميل من نعمة
وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما
الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال
افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده
فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله
عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثنا على موليها
اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفا عمل القلب
وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل
خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع

الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب
الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب
باضمار مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه
ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها
مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة
والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره
ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على
ان ابرهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال
على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك
قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون
فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف
في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد
من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق
الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد لله بكسر
الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها
الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم
منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين
واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية
التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لابي
سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول
ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا
بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو
في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع
الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين
على المدح بالنصب وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين

العالم

لق

العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق
من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما
سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات
العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية
فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك
بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رحمة الله ملك يوم الدين بلفظ
الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب
وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك
هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك
الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم
كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق
الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار
والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن
الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية ولا تكون
معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما
تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير
الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي
كقولك هو مالك الساعة او غد امس او زمان مستمر كقولك زيد ما لك
العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى
في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله
تعالى ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم
الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا
للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم
كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله

في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به
وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته
لم يكن احد احق منه بالحمد والثنا عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل للمنصوب
واللواحق التي تلحقه من الكاف والها واليا في قولك اياك واياه واياي
لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف
في ارايتك وليست باسما مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون
واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب
فشي شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل
افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة
ونخصك بطلب المعونة وقرى اياك بتخفيف اليا واياك بفتح الهمزة والتشديد
وهياك بقلب الهمزة ها قال الطفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت
موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك
لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية
الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا
يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب
الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث
التفاتات في ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات
وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته
عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام
اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا
للاصغا اليه من اجرايه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوايد ومما
اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات
العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثنا وغاية الخضوع والاستعا

في

في المهمات خوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك
يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه
ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق
العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين
ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته
فان قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل
طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة
قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه
على ادا العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل
كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم
الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون
هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي
للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في
قوله تعالى واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون
طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما
اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعا واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما
يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا الصراط الجادة من سرط
الشي اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم
والصراط من قلب السين صادا لاجل الطا كقولك مصيطر في مسيطر
وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرى بهن جميعا وفصاحهن اخلاص
الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب
وكتب ويذكر ويونث كالطريق والسبيل المراد به طريق الحق وهو
ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو
في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين

انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل
وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما
فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره
صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ
وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك
ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الا
فضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا
وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت
من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما
فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام
ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته
واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى عليه السلام قبل
ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم
الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة
المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال
فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف
الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد
امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم
فليس في غير اذا الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب
على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب
ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل
المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه
والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب
الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان

يفعل

يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله
من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم
الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية
محلها الرفع على الفاعلية فان قلت دخلت لا في ولا الضالين قلت
لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول
انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة
قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير
الضالين وقرا ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرا عمرو بن
عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما
حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي
هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال
التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه و
قصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما
بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل امين عند فراغي
من قراءة فاتحة الكتاب كالختم على الكتاب وليس من القران بدليل
انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي
وعن ابي حنيفة رضي الله عنه مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها
وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعند الشافعي رضي الله عنه يجهر بها وعن وائل بن حجر رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع
بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا
اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول
الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اعطيته وعن
حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم

العذاب حتماً مقضياً فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مايتان وسبع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها
ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك
را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان
المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد
حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى
فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا
الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ
دلالة على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها
العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف
لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب
كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى
تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها
فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب
اجناسا مختلفة ليرفع حسابها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة
الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا
فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع
في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء
غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم
متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها
كالظروف وغيرها باسم الحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك
ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان

المخصوص

المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف
ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف
فيها بالامالة كقولك بايا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير
والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء
المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه
قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف
لكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال
انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في
كتاب الحجة في يٰس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما الواو ان
كان حرفا فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان
يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ
بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت
بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث
لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف
وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد
قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما
اخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك
تخيل ان وراءها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت
فقلت كتبت لاء قلت هذا التفصيل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب
في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة
بالاخف الاوجز واستعمالها على خلاف حقيقته وان توهمهم ليس بصادر
عن ايقان وان اليقين ما عليه من امن بما انزل اليك وما انزل من قبلك
والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والاخرة تانيث الاخر
الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الاخرة
وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف

هاهنا سقط اوراق
خو سقعة اوراق

الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرا ابو حية النميرى
يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه
ووقتت ونحوه لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود
اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب
مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء
بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه
لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل
ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون
بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين
المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا
يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم
الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة
وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين
بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين
غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا
واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف
عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة
باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك
منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان
الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على
المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره قلت نعم على ان
يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا
بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون
انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان

ما يرد

ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي
عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة
ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم
يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى
الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم
جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم
اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا
به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما
لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا
لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت
م ... يون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد
وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد غناها الباقون الا ابا عمرو
فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم
الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في
تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت
لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العا طف
بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم
شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل
وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب
ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره
والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم
الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل
بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم

الشيخ عظيم المالي برواق البربانة وله ... الاجمي ... اكثر من ...
تعلم من وقته المحل بحكمة الغيه الحكرية ... خامس شهر ربيع الاول
... وتسعين و ... مائة

الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز من قايل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجا الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسوا عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين واما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف

في الذين

المرحوم الشيخ عظيم المالي برواق ...

الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله المصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسوا اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتدا وسوا خبرا مقدما بمعنى سوا عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم
م على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا
مما استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا ندا ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرى أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرى قد افلح فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع

الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرف
مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف
لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين واما القلب
الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار
التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون
قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض
الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشي بضرب الخاتم عليه كتما له
وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من
غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشي كالعصابة والعمامة
فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار
قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل
ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان
تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمايرها من قبل
اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها
تمجه وتنبو عن الاصغا اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها
بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي ايات الله المعروضة ودلايله المنصوبة
كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل
بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في
الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشيا ضرب حجاب
بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين
الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال

ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر
واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر

فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من
قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح

علوا

علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله
وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر
بالفحشا ونظاير ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة
القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على
ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشي الخلقي غير العرضي
الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في
الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الاية ناعية على الكفار
شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز
ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي
اذا هلك وطارت به العنقا اذا طالت غيبته وليس للوادي ولا للعنقا
عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال
من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقا فكذلك
مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله
عليها نحو قلوب الاغنام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهايم او
بحال قلوب البهايم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي
شيا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله
وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله
فيكون الختم مسندا الى اسم الله تعالى على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير
هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والز مان
والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشيا
على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل
كما يضاهي الرجل الاسد في جراته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به
عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر
وذيل ذايل وفي الزمان نهاره صايم وليله قايم وفي المكان طريق ساير
جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة

صبوت وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان
هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي
اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع
وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الايات
والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة والمقربة ان اعطوها لم يبق
بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم
الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم
يقسرهم ولم يلجئهم لان لا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر
والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار
عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى
في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس
وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره
في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة
في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم
الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم
على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم
قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة
وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين
ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك
اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه
ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه
جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس
سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل امال ابو عمرو والكسائي

من

من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت
لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير فان فيها كسرتين
وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين
وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب
وهو ما به يستبصر ويتامل فكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما
التين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة
بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة
بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا
والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك
عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف
الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره
وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان
لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم
والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم
فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث
جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على
ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي
عن ايات الله ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله
تعالى اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه
بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم
علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة
ثم ثلث بالذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا
وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم
المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا
بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان

المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في
اثنتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم
وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم
وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة
المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة
على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة
وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله
انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون
كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وكذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة
على الاصول الا تراك تقول في وزن قه افل وليس معك الا العين
وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن التصغير الآتي على
خلاف مكبره والعباس في تصغيره ابسر كانيسيان ورويجل ولام
التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا
المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه
ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم
في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول
موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال
ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين
يؤذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون
غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم
جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع
الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا
يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت
بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول
تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان

باليوم

باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث
وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس
بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقد ونه
على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا
وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيد تهم
عقيدتهم هو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين
واستهزاء بهم وأروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث
وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم احتازوا الايمان
من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء
انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت
كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول
في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت
القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى
الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخرا ج
ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنا فيه
لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد
انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل
القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخار جين
منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جا
الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد
التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا
من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان ب
بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز ان يراد به
الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاو قات
المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة

واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدوده التي لاحد للوقت
بعده والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من
قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه
اقباله عليه ثم خرج من باب اخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة
الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافيه لا يخدع والحكيم
الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز
ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقول
ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب وقد جاء النعت
بالانخداع ولم يات بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال
كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون
صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجرا احكام
المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل
مشع م من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة المؤمنين معهم حيث
امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة
عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاوه الايمان بالله
نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه
غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا
ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث
ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره
ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم
وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى
يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان
المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق

ان

ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت
زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه
كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة
وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه
صحيح قلت وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت
لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جا
ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي
اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخا دعون
بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين
وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عم كانوا يخادعون قلت
كانوا يخادعون عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم
عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما
يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من
المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار
التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم
حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما
احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقا ابليس
وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغوا المنافقين وتلقينهم النفاق اشد
من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما
المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما
يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها
يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه
اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة
اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما تحدثهم
به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجي به على لفظ

يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدّعون من خدّع ويخدعون
بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم
فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفساً ثم قيل
للقلب نفس لأن النفس به ألا ترى إلى قولهم المرء بأصغريه وكذلك
بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها إليه
قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين
أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل في قولهم ولأن يؤامر نفسه إذا تردد في
الأمر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرّج كأنهم أرادوا داعي
النفس وهاجسي النفس سموهما نفسين إما لصدورهما عن النفس وإما لأن
الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما
نفسين هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاحق بهم لا
يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم
ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الإنسان
حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كا
لذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازاً
فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض
أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم
عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة
شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد
به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء
لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلاً وحنقاً
ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم
وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسداً ان يستمسك حصة لسوهم
وناهيك بما كان من ابن أبيّ وقول سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه
يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل

هذه

هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه
شرق بذلك أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم
كانت قوية إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الإسلام تهب حيناً
ثم تسكن ولواؤه يخفق أياماً ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند إنزال
الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله وإما لجرأتهم وجسارتهم
في الحروب فضعفت جبناً وخوراً حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشا هدوا
شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله إياهم مرضاً أنه كلما أنزل
على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفراً إلى كفرهم فكأن الله هو
الذي زادهم ما ازدادوه إسناداً للفعل إلى المسبب له كما أسنده إلى السورة
في قوله تعالى فزادتهم رجساً لكونها سبباً أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطاً
في البلاد ونقصاً من أطراف الأرض ازدادوا حسداً وغلاً وبغضاً وازدادت
قلوبهم ضعفاً وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبناً وخوراً ويحتمل أن
يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي مرض ومرضاً
بسكون الراء **ولهم عذاب أليم** فهو أليم كوجيع ووصف العذاب به نحو
قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والألم
في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله
وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب
الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم
كفرة وإنما خصت الخطيئات استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها والكذب
الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله وأما ما يروى عن إبراهيم
عليه السلام أنه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت
صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعاً إياكم
والكذب فإنه مجانب للإيمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه
ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرها

بان الشي وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت
البهايم وتركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم
وقف لينظر ما وراه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له
مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاه العايره بين الغنمين
تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز
ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا
كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشي عن حال استقامته وكونه
منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحاله المستقيمة النافعه
والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض
وانتفا الاستقامه عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينيه والدنيويه
قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ومنه قيل لحرب كانت بين طي
حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمالون الكفار
ويمالونهم على المسلمين بافشا اسرارهم اليهم واغرايهم عليهم وذلك مما يودي
الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم موديا الى الفساد قيل لهم لا
تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار
اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شي كقولك انما ينطلق
زيد او لقصر الشي على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون
ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شايبه قادح فيها
من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لا
عطا معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد
تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق
لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدره بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي
هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها • اما والذي لا يعلم الغيب غيره •
اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين

ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما
في كلمتي التنبيه الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل
وقوله لا يشعرون اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كا نوا
عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنه والثاني تبصيرهم الطريق
الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم
لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسليه للعالم مما يلقى من الجهلة
فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل الى
الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا
اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو
قولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان
تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد
اي كما امن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون للعهد اي كما امن عبد الله بن
سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابنا جنسهم اي كما امن اصحابكم واخوانكم
او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانيه او جعل المومنون كانهم الناس
على الحقيقه ومن عداهم كالبهايم في فقد التمييز بين الحق والباطل
والاستفهام في انومن في معنى الانكار واللام في السفها مشار بها الى الناس
كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فتقول او قد فعل السفيه ويجوز
ان تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم
عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم
وهم العقلا المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف
انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل
كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وبسطه في قومهم ويسار وكان اكثر المو منين
فقرا ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفها تحقيرا لشانهم
او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم
وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع

عليهم القصور من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **فإن**
قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون **قلت**
لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج
إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه
من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على
العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان
قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس
المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن
طباقا له ومساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس
بتكرير لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا
يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه
المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطارهم صدقوهم
ما في قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء
السفهاء عنكم وأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ
الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال
مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بني
هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا
عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريبا منه
وهو جاري ملاقي وملاصقي وقرأ أبو حنيفة رحمه الله وإذا لاقوا وخلوت
بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك
ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت
منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه وإذا أنهوا
السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا

وأذمه إليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل
سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وفي آخر زائدة والدليل
على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من
الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه
الباطل **إنا معكم** إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم **فإن قلت**
لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة
بإن **قلت** ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأوكد بها
لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون
في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم
عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر
عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على
لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم
بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل
ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم
فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على
اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط
وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان
مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد **فإن قلت** أنى تعلق قوله إنما
نحن مستهزئون بقوله إنا معكم **قلت** هو توكيد له لأن قوله إنا معكم
معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام
ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه
معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام
فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم
فقالوا ما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن
مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء

وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزان على مكاني وناقته تهزا به اي تسرع وتخف
فان قلت لا يجوز الاستهزا على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية
من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان
والحقارة بهم لان المستهزي غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية
ممن يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد
لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد تحقير شانهم وازدرا امرهم
والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك منها
الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام
المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزا
باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
فان قلت كيف ابتدى قوله الله يستهزي بهم ولم يعطف على الكلام قبله
قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل
هو الذي يستهزي بهم الاستهزا الابلغ الذي ليس استهزاوهم اليه باستهزا
ولا يوبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل
وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزا بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج المومنين
ان يعارضوهم باستهزا مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزي بهم ليكون
طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزي يفيد حدوث الاستهزا
وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة
بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر
اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر
من ان تنزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في
قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش
وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها

ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده
الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد
انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملا
والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن
كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانه يمدونهم على ان الذي
بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان
يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم ثم
يمدونهم في الغي قلت اما ان حمل على انه لما منعهم الله الطافه التي منحها المومنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة
فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين فسمي ذلك التزايد مددا
واسند الى الله تعالى لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على
منع القسر والالجا واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله لانه بتمكينه واقدا ره
والتخلية بينه وبين اغوا عباده فان قلت فاحملهم على تفسير المد في الطغيان
بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك
خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى
الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى
من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد
في مذاهبه بقا النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي
سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم
والبلاغة على مراحل او بعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم
يتمادون وان هولا من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة
الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان
كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم
قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته
ايديهم وان الله بري منه ردا لاعتقاد الكفرة القايلين لو شا الله ما اشركنا

ونفيًا لوهم من عسى ان يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان
اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند الدالة على الطريق الذي ذكر اضاف
الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته
ومصداق ذلك انه اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وما يصلك بالاضافة
في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى عام في البصر والرأي والعمه
في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين
العمه • ومهمه اطرافه في مهمه • اعمى الهدى بالجاهلين العمه • اي الذين
لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا معمها لا منار بها ومعنى اشتروا الضلالة
بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء
بدل واخذ اخر ومنه اخذت بالجمة رأسا ازعرا • وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا • وعن وهب قال
الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير
العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى
وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم
فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو
فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة
والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل
دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على
رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا
فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع
ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي
عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها
قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو
في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك
وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك

الشرط وهو ان رأيت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم
يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى
الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت
هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق ق
كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن
ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في
البليد كان اذني قلبه خطلاء وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق
البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها
ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية • وعشش
في وكريه جاش له صدري • لما شبه الشيب والشعر الفاحم بالغراب اتبعه
ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه • فما ام الردين وان ادلت
بعالمة باخلاق الكرام • اذا الشيطان قصع في قفاها • تنفقناه بالحبل التؤام
اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم
يريد اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء
من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك
لما ذكر سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه
اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت فما معنى قوله فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم
شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان
رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في
ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من
الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له
رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون
العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة
للكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل

والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن
الحقايق حتى يريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب
كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر
الله في كتابه المبين وفي ساير كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلام الانبيا والحكما قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في
اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه
اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض
الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير ما معنى مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد
المثلين بصاحبه فقد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة
او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان
كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون
اي وفيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها
ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في
التورية اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا
فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان كيف
مثلت الجماعة بالواحد وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم
كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم
موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى
وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق
بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على
اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره
بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات

لفظ الجمع

لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد
الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا
بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم
بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود
النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا
والنار جوهر لطيف مضي حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو
نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون
غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول
المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه
اخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله
بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة
وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل
للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما
ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله
فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدلالة
عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى
كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين
متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار واذا
قدر الجواب محذوفا بم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما
مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض
سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب

الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد
رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الاول
قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا
الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى
فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم
قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله
وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه
مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة
والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء
الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية
اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا ليتوصلوا
بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار
المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على
طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم
لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة
فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا
والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه
وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها
وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها
شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت لم وصفت بالاضاءة قلت هذا على
مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت
ونار العرفج مثل للنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى
اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به
معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله
بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما

يمسك

يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب
الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك
ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال
القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله
وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين
والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم
ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع
الرؤية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على
التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح
الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل
غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون
فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا
في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل
هو ابدا الا حائر بائر في ظلمة الكفر قلت المراد ما استضاؤوا به قليلا من
الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة
ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز
ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا
به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله
صم بكم عمي وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة له
بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار
المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم
بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت صم بكم عمي فهم لا يرجعون
حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان
ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشا عرهم
وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا

سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع
اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمروا واه
واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقه عند علماء البيان
قلت طريقه قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخيا الا ان هذا
في الصفات وذاك في الاسما وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات
والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجى الاسلام
واضا الحق فان قلت هل يسمى ما في الاية استعارة قلت هو مختلف
فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له
مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر
المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه
والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى
اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين
السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا
قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السما ومثله
لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس
لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى
تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج
اسد علي وفي الحروب نعامة فتخا تنفر من صفير الصافر • ومعنى
لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة
بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين
بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون
وكيف يرجعون الى حيث ابتدوا منه ثم ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل اخر
ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب
على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب
عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ

يرمون

يرمون بالخطب الطوال وتارة • وحي الملاحظ خيفة الرقباء •
ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات الا ترى
الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام
خاضب بالسي مرتعه • فقد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد
نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وماذا
شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق
قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به
حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من
الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا
والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد
كمثل قوم اخذتهم السما على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا
تشبيه اشيا باشيا فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي
الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي •
جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما
يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب
الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي
عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة
دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول
الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشيا فرادى معزولا بعضها
من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرؤ القيس
وجاء في القران وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشيا قد تضامت
وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين
حملوا التورية الاية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية

وايابها الباهرة بحال الحمار في حمله ما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي
الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر
من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السما المراد قلة بقا زهرة الدنيا كقلة
بقا الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض
ومصيرة شيا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في
ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة
الامر عليهم بما يكابد من طفيت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك
من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
الذي كنت تقدره من التشبيه في المفرق من حذف المضاف
وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه
لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع اليه لكنت
مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام
فلا علي اولي حرف التشبيه مفردا يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى
قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه
الدنيا بالماء ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد
وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
لم يشبه الناس بالديار فيها وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنايهم بحلول اهل الديار ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية
اي التمثيلين ابلغ الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة
الامر وفظاعته وكذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون
الى الاغلظ لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك او
في اصلها لتساوي شيين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي
في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في
استصواب ان تجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم
والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه

ان

ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان
القصتين سوا في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما
مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر
الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ
واسحم دان صادق الوعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد
هايل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ
والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فوله من
السماء ما الفايدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء الفايدة
فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من
بين ساير الافاق لان كل افق من افاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق
سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد
ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق اخذ بافاق السماء وكما جاء بصيب
وفيه مبالغات من جهة التركيب والبنا والتنكير امده ذلك بان
جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم
من يزعم انه ياخذ من البحر ويؤيده قوله وينزل من السماء من جبال فيها
من برد ثم ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق لاعتماده على
موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب
تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد
والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشي بريقا اذا لمع قد جعل
الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد
فالظلمات اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمة سحمته
وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل
كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب اذا كانا
في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في

البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه   فهلا جمع الرعد والبرق
اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه
ورعوده   وكما قيل ظلمات   فيه وجهان احدهما ان يراد العينان
ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت
برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان
يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف
وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع
كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف
باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه
في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا
لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان ٢
قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون
اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل
يكاد البرق يخطف ابصارهم   رووس الاصابع هو الذي يجعل
في الاذان فهلا قيل اناملهم   هذا من الاتساعات في اللغة
التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا
ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا في
ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل   فالاصبع التي يسد
بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص   لان السبابة
فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القران الا ترى انهم قد
استبشعوا فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة
فهلا ذكر بعض هذه الكنايات   هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها
الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق

بيجعلون

بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه
من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا
تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء
الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة
فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
فصعق اي مات اما لشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر
موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا
البناءين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول
صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره
جذب في جبذ ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة
لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة
والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله
واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه
احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه
كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها
والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح
وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله
يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف
من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما
استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق
البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على
اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما
يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم
انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه
بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم

او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا
اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في
مطرح نوره وملقى ضوه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي
جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو
فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود
ما همهم به من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها
وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو
الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد
بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس
هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علما العربية
فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلما الدليل عليه بيت
الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا
وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول
شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون
يبرزون المفعول الا في الشي المستغرب كنحو قوله فلو شئت
ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله
ان يتخذ ولدا ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة البا كقوله ولا
تلقوا بايديكم والشي ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة
الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث
من التذكير الا ترى ان الشي يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر
هو ام انثى والشي مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على
الجسم والعرض والقديم تقول شي لا كالاشيا اي معلوم لا كساير المعلومات

الشعر

وعلى

وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شي قدير وفي الاشيا ما لا
تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر قلت مشروط في حد القادر
ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على
الاشيا كلها فكانه قيل على كل شي مستقيم قدير ونظيره فلان امير على
الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس
واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه ثم اشتقاق القدير
من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن
العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المومنين والكفار والمنافقين
وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما
يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب
وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو
فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك
حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط
منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة
الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك
نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة
استدعا واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه
ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان
في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع
ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان
كل شي نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله
خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لندا البعيد
صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما ندا القريب فله اي والهمزة ثم
استعمل في مناداة من سهى وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا
نودي به القريب المقاطن فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي

يتلوه معنى ... بدحذا   فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله
الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر   هو استقصار
منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل
المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك
على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه
الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف
المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه
اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل
فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف
الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا
التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه
المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكاتفته
بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة
لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره
قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما
نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده
ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق
الله به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها
ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال
ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون
متوجها الى المومنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما
روي عن علقمة والحسن فالمومنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم
متلبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت ممن
اساله وهو قائم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف
يعبدونه قلت المراد بعبادة المومنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم

ثم

عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو
الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية
وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر
حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون
الله ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد
جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين الامر بالعبادة والامر
بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا اخر
فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين
ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك
فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا
وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب
للفريقين جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت
عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة
خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم
بالادغام وقرا ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي
والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم
الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا
تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم
لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او
الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى
لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله تعالى والذين
آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن
ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري
اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل

تيم

لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وإيضاحه أن ديدن
الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم
التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما
من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة
الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك
في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك
ذي العز والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا
يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا
عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم فإن قلت فلعل التي في الآية ما معناها
وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لأن قوله خلقكم لعلكم تتقون
لا يجوز أن تحمل على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب
والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضا
ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لأن الله عز وجل
خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوة
وأزاح العلة في إقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في
أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو
منهم أن يتقوا لترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما
ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل ومصداقه قوله
عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه
العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار فإن قلت
كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك
فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب
المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا فإن قلت
فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا
النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم

وإنما

وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا
ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث
على العبادة وأشد إلزاما لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول
لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني إلا لجر الأثقال
ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه
من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين
أولا لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة
والشكر وغيرهما ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم
منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء
التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه
عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها
والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان
الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا إلى النظر
الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم
الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا
من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك
أن لا بد لها من خالق ليس مثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم
يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما
أن يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما
أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي
بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس
أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه
وبساطه ومهاده فإن قلت هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست
بكرية قلت ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش
وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا

قف على شرح الذي جعل لكم ال[illegible]

ولا مدفوع لعظم جرمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان
متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات
الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا
اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **فان قلت** ما معنى اخراج الثمرات
بالماء وانما خرجت بمشيئته وقدرته **قلت** المعنى انه جعل الماء
سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان
ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من
مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون
الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون
الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير
تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا
به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا
يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من
السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا
هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر
جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان تكون للبيان
كقولك انفقت من الدراهم الفا **فان قلت** فبم انتصب رزقا
قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت
مبينة كانت مفعولا لاخرج **فان قلت** فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم
فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار **قلت** فيه وجهان احدهما ان يقصد
بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره
ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما
هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها

في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه
الاول قراءة ابن محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة
جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول
به كانه قيل رزقا اياكم **فان قلت** بم تعلق فلا تجعلوا **قلت**
فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا
لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك
او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية
حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه
او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفظكم بهذه
الايات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا
له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي **قال**
جرير اتيما تجعلون الي ندا • وما تيم لذي حسب نديد • ونادت الرجل
خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا
ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه **فان قلت** كانوا يسمون
اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون
انها تخالف الله وتناويه **قلت** لما تقربوا اليها وعظموها وسموها
الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله وقادرة على مخالفته
ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بلفظ الند
شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان
يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن
السميفع فلا تجعلوا لله ندا **فان قلت** ما معنى وانتم تعلمون **قلت**
معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة
بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء

والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا
ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة
بالامور وحسن الاحاطة ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم
من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العرافون المميزون
ثم ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل
ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم
تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله
كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شي لما احتج عليهم بما يثبت
الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات
ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما
انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة
واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه
كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابنا
جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل
دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم
وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا
من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة
بعد سورة وايات غب ايات على حسب النوازل وكفاء الحوادث
وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم
مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسبما يعن لهم من الاحوال المتجددة
والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر
بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة
جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة
واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا

انتم

انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من
اصغر السور او ايات شتى مفترقات وهذه غاية التبكيت ومنتهى
ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته
والسورة الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلاث ايات وواوها
ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة
من القران محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية
على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها
واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة ۝ في المجد ليس غرابها بمطار

لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ
وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها
وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها
قطعة وطائفة من القران كالسورة التي هي البقية من الشي والفضلة
فان قلت ما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليس الفائدة
في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر
ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب
المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائدها
ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل
وافخم من ان يكون بابا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من
الكتاب ثم اخذ في اخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس
والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه
قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه
للسير ومن ثم جزأ القراء القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا
ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله
طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل

في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة
وآل عمران جدّ فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوات بسورة تامة
افضل ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملايمة بعضها
لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد
والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من
مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير بسورة
للعبد فان قلت وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت
معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في
حسن النظم او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب
ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى
للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد
احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا
بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب
والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في
المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك
عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل
من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان
الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان
محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم
الغفير بان يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في
التحدي من ان يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان
هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون
دون

وهو

وهو الدني الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء
بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا
كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى
مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل
زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه
بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل
تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين
وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق ◦ اي اذا تجاوزت وقاية
الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم
فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون
الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين
يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها
وهي دونه ◦ اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها
وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز
بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون
اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة
وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم
وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم
الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين
عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء
في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم
يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين
شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطا

عهم

واخبرهم ان الحجة قد بهرتهم ولم يبق لهم متشبثا غير قولهم الله
يشهد انا لصادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بما هي العجز
وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد
لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله
شهدائكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم
وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدكم فادعوا كل من يشهدكم
واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي
بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن الاية لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله
عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله
قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه
فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فامنوا وخافوا العذاب
المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى
به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت
انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان
الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على
حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك
فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان
يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على
من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما
به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت
لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت
والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك
عن طول المكنى الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على
صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول بئس

ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل
عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة
من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها
قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ولن تفعلوا ما حقيقة
لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا بدا
تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في
انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند
الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف
مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على
ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه
الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون
اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو
به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم
بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح
عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم
ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم
العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه
وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة
ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي
يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من
باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من
حلية القران وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في
صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتعظيم امرها والوقود ما ترفع
به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء الفتح قال سيبويه وسمعنا من
العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود

الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان
فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل ذلك حيوة المصباح السليط
اي ليست حيوته الا به فكأن نفس السليط حيوته قلت صلة الذي ٥٦
والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة
توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل
الكتاب او سمعوه من رسول الله او سمعوا قبل هذه الاية قوله تعالى في
سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة
بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وهنا معرفة قلت تلك الاية نزلت
بمكة فعرفوا منها نارا اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة
قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس
والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا
بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته
الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة
ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت
انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام نيران شتى منها نار بهذه الصفة
قلت بل هي نيران شتى منها توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها
في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشيا
طينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء
لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت
الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا انفسهم بها في الدنيا حيث نحتوها اصناما
وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون
من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما
اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين
يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم

فقرنها بهم محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه
ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا
بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب
عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت
لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة
من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع
البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف
ما يتلف النشاط فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه
ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل
الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالتو
فان قلت من المامور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى
الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى
المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يامر بذلك واحدا بعينه
وانما كل واحد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يوذن بان
الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة
به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه
عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل
من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب
المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد
يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان
تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة
ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله
عنهما وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار
بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني

بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو
الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني
اخبرني عتقوا جميعا لانهم اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد
وتباشير الصبح ما ظهر من اوايل ضوءه واما فبشرهم بعذاب
اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزا الزايد في
غيظ المستهزى به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر
بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة
كالحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لام بظهر الغيب تاتيني والصالحات كل ما استقام من
الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت
اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع
قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان
يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع
صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان
وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية
والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت ما المراد بهذا المجموع
مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على
حسب حال المومن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل
والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة
سحقا اي نخلا طوالا والتركيب داير على معنى الستر وكانها لتكاثفها
وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها
سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من
الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي
يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحوا الجنة وبمجيئها في القران
على نهج الاسما الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب

ونحوها

ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة
اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب
على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان
فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح
ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكباير وان لا يندم على ما اوجده
من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب
مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز
في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم
يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده
احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه
واعزهم لين اشركت ليحبطن عملك وقال للمومنين ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط ط
والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من
تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطي الانهار الجارية وعن
مسروق ان انهار الجنة تجري من غير اخدود وانزه البساتين واكرمها
منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان
الما الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان
كانت آنق شي واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الا
ريحية والنشاط حتى يجري فيها الما والا كان الانس الاعظم فايتا والسرور
الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها
لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها
مسوقين على قران واحد كالشيين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما
قدمه على ساير نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون
البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر
بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد

المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان
فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات
فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان
فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس
التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف
الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة
في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
الاية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر
مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد
السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام
اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات
الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت
ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان
شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا
من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك
رزقا فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان
الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة
وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول
من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره
ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء
من ضمير الجنات مبتدا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة
او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار
ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا
تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة
الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون

ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت
معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به
متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه
كان ذاته ذاته فان قلت الى م يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت
الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان
يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله
غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى
به على التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما
بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمالوف آنس والى
المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه
ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له الف ورأى فيه
مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط
ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة
فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا
حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق
التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا
تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع
السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال
هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في
الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل
واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك
الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا
القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي
الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي

يشتمل نعيمهم ويستدعي بحيحهم فحلا وان عن مسروق نخل الجنة نضيد
من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت
مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة
ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة
اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا
في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى
بالاخرى فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون
واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل •
من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل
الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير
الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها
من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل
وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها
اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام
معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنسا
من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز
لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق
الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق
السوء والمناصب الردية والمناشي المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن
وخبثهن وكيدهن فان قلت هلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف
قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل
والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان
تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت • والمعنى وجماعة ازواج مطهرة
وقرا زيد بن علي مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي
كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به

تطهرة

تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن
ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا
الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم
والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال
امرؤ القيس • الا انعم صباحا ايها الطلل البالي • وهل ينعمن من كان
في العصر الخالي • وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باو جال •
جع وجل سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء
او اهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات
من الاشيا مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب
من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب
عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل
له عظيما كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب
به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها
فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما
كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان
بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التي جعلها
الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت
مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا
وضربت لها البعوضة فالذي دونه مثلا لم يستنكر ولم يستبدع
ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في
تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال
ما يحكيه وليستدعيه ولشأن المؤمنين الذين عادتهم الانصاف
والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا
بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والظو

الذي لا يرتع الخطا حوله وان الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم
وغضبهم على بصايرهم فلا يفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق
الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا
سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار
وان ذلك سبب زيادة هدى المومنين وانهماك الفاسقين في غيهم
وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال
بالبهايم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال
العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر
الاشيا فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد
واطيش من فراشة واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة
اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفني مخ البعوض ولقد ضربت
الامثال في الانجيل بالاشيا المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل
والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشيا وباحقر منها
مما لا يغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج
المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان
يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم
والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن
وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت وضرب للمشركين به المثل ضحكت
اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية الحيا تغير
وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة
يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه
الاعضا جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص
الحيوة كما قالوا فلان هلك حيا من كذا ومات حيا ورايت الهلاك في
وجهه من شدة الحيا وذاب حيا وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف
القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه
العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار
على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من
عطايه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حيا منه وكذلك معنى
قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل
بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما
يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجات على سبيل
المقابلة واطباق الجواب على السوال وهو فن من كلامهم بديع وطراز
عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افنا يعرب كلها اني بنيت الجار قبل
المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل
انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بنا
الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بنا الدار
لم يصح بنا الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر
التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد
استعير الحيا في ما لا يصح فيه اذا ما استحين الما يعرض نفسه كرعن
بسبت في انا من الورد وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بيا واحدة
وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييته
منه واستحييته وهما محتملان هاهنا وضرب المثل اعتماده وصنعه
من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت
باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا
ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم
كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا انتصب بعوضة
فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة

فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه اخر حسن
جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله
اصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشيا
المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب
ما دينارا ودينارين والمعنى ان الله يتمثل للانداد وحقارة شانها
بما لا شي اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما
لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما
تقول العرب فلان اقل من لا شي في العدد ولقد الطف الله بقوله تعالى ان
الله يعلم ما يدعون من دونه من شي وهذه القراة تعزى الى روبة بن العجاج
وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا
يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراة الا الى هذا الوجه وهو
المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا ومفعول
ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين فجرى
ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب يقال بعضه البعوض وانشد
لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشي
على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فيه معنيان احدهما فما
تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة
نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذاك تريد
هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها
في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى
شي فيقال فلان بخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم
فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل به وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت
فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم

عن ابراهيم

عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم
يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت
عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي
نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو
كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة
واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما
دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة
اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا
للدنيا وفي خلق الله تعالى حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت
في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد
الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك
حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاها ها
الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على
ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق
الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت
لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول
واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفا وفايدته في الكلام ان يعطيه
فضل توكيد تقول زيد ذاهب واذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة
ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب
ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شي فزيد ذاهب وهذا
التفسير مدل بفايدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي

ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين
كفروا يقولون احماد لعظم امر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي
على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق
الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت
كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وما وماذا فيه وجهان الاول ان يكون
ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين والثاني ان يكون ذا مركبة مع ما
مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع
المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم
ما وحده لو قلت ما اراد الله والاحسن في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا
وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك
كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب
ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة
نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال
اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها
يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم
على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد على
كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله انه فعلها وهو
غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه
للحق او المثل ولان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال
واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو
هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا
اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على
الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين

الإرادة

بانه

بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة
وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا
الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة
خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل
من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت
الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون
بالقلة انما يوصفون بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين
كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ان
الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا اسناد الاضلال •
الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم
واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه
الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى
ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة
فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت
القيود على رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير ويهدى به كثير وكذلك وما يضل
به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن
قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة
وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان
اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء وعن اشياعه وكونه
بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن
في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد
عداوته والا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة
لا تجزى خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء
الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد
اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض الفسق وفك التر

كيب

من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد فان قلت من حيث تسميتهم
العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين
ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم
حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا
من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا
اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك
شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امراة فاستوثرها
لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة
بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد
منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهولاء الناقضين لعهد الله
احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما
المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر
وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه
الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب
المنزلة عليهم لقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل
لعيسى صلوات الله عليه سانزل عليك كتابا فيه نبا بني اسرايل وما اريته
اياهم من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا
به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعي للذين قاموا بميثاقي واوفوا
بعهدي ونصروا اياهم وكيف انزل باسي ونقمتي بالذين غدروا ونقضوا
ميثاقي ولم يوفوا بعهدي لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد
صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل اخذ الله
العهد عليهم الا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم
وقيل عهد الله الى خلقه ثلاث عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع
ذرية ادم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد وخص

به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو
قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلما وهو قوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله
والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد
بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد
توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه وانذار
رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة
المومنين وقيل قطعهم ما بين الانبيا من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت
طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد
الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يامره به فقيل
له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان
والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده
هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفا والقطع بالوصل
والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في
قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان
وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير
بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه لانه مستحيل
تطير بغير جناح فلم قلت واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة
والاحيا قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن
الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار
الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول
في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشي
تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان

انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر وردیفها انكارا لذات الكفر وثباتها
على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر
ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال
وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا
لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم للحال فان قلت
كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام
الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة
قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه
وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد
هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة
ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقعا حالا
حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي
وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون
بهذه القصة باولها واخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك
على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت
قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار
الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه
فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل
بالاحيا الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل الموصلة
اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات
جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال
كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال
ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات
غير احيا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان
قلت ما المراد بالاحيا الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحيا في القبر وبالرجوع

النشور

النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزا فان قلت
لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحيا الاول
قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحيا والاحيا
الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد
به احيا القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ
عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها
الا انها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها
ان تشكر ولا تكفر قلت تحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع
كونها آيات من اعظم النعم لكم لاحيائكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع
الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب
الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها
وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب
والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة
والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش
والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشيا
التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل
مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول
من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات
السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك
فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال
من الموصول الثاني وجميعا الاعتدال والاستقامة يقال استوى
العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا
قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى
الى السما اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد
فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسما جهات العلو كانه قيل ثم استوى

الى فوق والضمير في سواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم
ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السما والسما في معنى الجنس وقيل
جمع سماة وهذا الوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن
وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن و سبع سموات
ثم ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على
حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم وهو بكل شيء عليم ما مرت به
معنى الاستوا الى السما بالقصد ثم اعطاها معنى التراخي والمهلة
ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض
لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان لمعنى التراخي
في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السما لم
يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر
اما بين هذا وقوله والارض بعد ذلك دحاها لا لان جرم الارض
تقدم خلقه خلق السما واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك
قوله كانتا رتقا ففتقناهما وهو الالتزاق نصب باضمار اذكر ويجوز
ان ينتصب بقالوا جمع ملاك على الاصل كالشمايل في جمع شمال والحاق
التا لتانيث الجمع من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر
وهما قولك في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض
خليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض
فخلفهم فيها ادم وذريته فهلا قيل خلايف وخلفا اريد بالخليفة
ادم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر
وهاشم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف
ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل
نبي انا جعلناك خليفة في الارض اي غرض اخبرهم بذلك

ليسا

ليسألوا وإذ ذاك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في
استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها
وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن
المشاورة اتجعل تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير من اين عرفوا
ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب عرفوه باخبار من الله او من جهة
اللوح او ثبت في علمهم ان الملايكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق
سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض
فافسدوا فيها قبل سكنى الملايكة وقرئ يسفك بضم الفا ويسفك ويسفك من
اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق
منه بالاحسان بحمدك نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق
نبعد الله من السوء وكذلك تقدسه من سبح في الارض
والما وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد في موضع الحال اي نسبح
حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا باللطف والتوفيق
لم نتمكن من عبادتك اي اعلم من المصالح في
ذلك ما هو خفي عليكم هلا بين لهم تلك المصالح كفى العباد ان
يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على
انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله واشتقاقهم ادم
من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس
من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون
على فاعل كازر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك كلها اي اسما
المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذلك الاسما لان
الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس هلا
زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم ادم مسميات
الاسما لان التعليم وجب تعليقه بالاسما لا بالمسميات لقوله انبئوني
باسما هولا انبئهم باسمايهم فلما انباهم باسمايهم فلما علق الانباء بالاسما لا

بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلا واسماهم لهم وجب تعليق التعليم
بها   فالمعنى تعليمه اسما المسميات   اراه الاجناس التي
خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا
اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية
اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلا فغلبهم
وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانبا على سبيل التبكيت   يعني في
زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدما ارادة للرد عليهم
وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما
يستاهلون لاجله ان يستخلفوا من الفوائد فارادهم بذلك وبين لهم
بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله اني اعلم ما لا
تعلمون لانه جاء به على وجه ابسط من ذاك واشرح وقرئ وعلم ادم
على البنا للمفعول وقرا عبد الله عرضهن وقرا ابي عرضها والمعنى عرض
مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسما وقرئ انبيهم بقلب الهمزة
يا وانبهم بحذفها والها مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة
ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لادم وابوا يوسف واخوته
له ويجوز ان يختلف الاحوال والاوقات فيه وقرا ابو جعفر للملائكة اسجدوا
بضم التا للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة
ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثنا متصل لانه كان جنيا واحدا
بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني
منهم استثنا واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا   امتنع مما امر به
عنه   من جنس كفرة الجن وشياطينهم فكذلك ابى واستكبر
كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه   من السكون لانها نوع من اللبث
والاستقرار   تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه   وصف
للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها   للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة

اطلق

اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة
حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات
من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها
الفايتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ
ولا تقربا بكسر التا وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والبا
وعن ابن عمرو انه كرههما وقال يقرؤها برابرة مكة وسودانها
من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله   جزم عطف على تقربا او نصب جواب
للنهي الضمير في عنها للشجرة اي حملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه
فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن
امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
عنها وابعدهما كما تقول زل عني من بينه وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل
من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان
الضمير للشجرة في عنها وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل
على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها   كيف توصل
الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم   يجوز
ان يمنع دخوله على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان
يدخل على الوسوسة ابتلاء لادم وحوى وقيل كان يدنو من السما فيكلمهما
وقيل كان قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة
فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قلنا اهبطوا خطاب
لادم وحوى وابليس وقيل والحية والصحيح انه لادم وحوى والمراد
هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس
كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على
ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم
الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي

وتضليل بعضهم لبعض   النزول الى الارض
موضع استقرار واستقرار ومتاع وتمتع بالعيش   يريد الى يوم
القيمة وقيل الموت معنى   استقبالها بالاخذ والقبول والعمل
بها حين علمها وقرى بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته
بان بلغته واتصلت به   ماض   قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا
حين اقترف الخطية سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم
تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك
قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال رب ان تبت واصلحت اراجعي
انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حوى لانها كانت
تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القران والسنة لذلك وقد ذكرها في
قوله ربنا ظلمنا انفسنا   فرجع عليه بالرحمة والقبول
تكرر قلنا اهبطوا   للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله
فاما ياتينكم مني هدى   جواب الشرط الاول   الشرط
الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى
فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل
قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي
فاجئ بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه
للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال
الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده
واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر
والاستدلال   الخطية التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة فالكبيرة
لا تجوز على الانبيا وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من

نزع

نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السما كما فعل بابليس
ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة
الى التوبة   ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلا ص
والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه
ما جرى تعظيما للخطية وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك
لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقا المائم والتنبيه على انه
اخرج من الجنة بخطية واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرى
فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح   هو يعقوب عليه
السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة
ابراهيم واسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرى اسرايل
واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها
ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على ابايهم مما عدد عليهم من الانجاء
من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم
وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به
في التورية والانجيل   يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال
اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله
واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا
بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد
عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم
ولا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الا   خصاص
من اياك نعبد وقرى اوف بالتشديد اي ابالغ بالوفا بعهدكم كقوله
من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي
ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل
عليه قوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم

اول

من كفر به او اول فريق وفوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول
كافر به كقولك كسانا حلة اى كل واحد منا وهذا تعريض بانه
كان يجب ان يكونوا اول من يومن لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا
المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا
يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة
الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني
من اشرك به من اهل مكة اى ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا فى التورية
موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير فى به لما
معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه كفروا به استعارة للاستبدال
كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله بدلت
الحلم بعدك بالجهل اوله فان تزعميني كنت اجهل فيكم يعني ولا تستبدلوا
بآياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم
في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها
وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل
كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم
من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشون الرشا
على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم
يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا الباء التي في بالباطل ان كانت
صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا
في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين
حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى
ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل
تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع

اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك
وتشرب اللبن لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى
ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق
بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التورية ما ليس
منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا او
يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون
بمعنى كاتمين في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم
لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه يعني صلوة المسلمين
وزكوتهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل
الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع ٤
الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلي مع المصلين يعني
في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين ٥
الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير
والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت
اى سعت برا في هذا الصديق وهو بالبد وكان الاحبار يامرون من نصحوه
في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة
ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع
بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تا
مروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها
وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت
مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد او فيها الوعيد
على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم
افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم
في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما

تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم
الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف
الصلوة متحملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ
النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية
والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال
فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة
وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق
فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول
واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات
ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعا
والابتهال الى الله في دفعه الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان
يكون لجميع الامور التي امر بها بنوا اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا
نعمتي الى واستعينوا لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين
والخشوع في نفسه مما يثقل لانهم يتوقعون ما ادخر للصا
برين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي
مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون
على حسب ذلك وكذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن
بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فتثقل عليه
كالمنافقين والمرائين بالاعمال ومثاله من وعد على بعض الاعمال
والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط
وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاوله بخلاف حال
عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع

الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع
فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته نعمت
عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من
الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس
يراد الكثرة يوما يريد يوم القيمة لا تقضي عنها شيا من
الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد
بعدك وشيا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا
من الجزا وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيا وهذه
الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فاين العائد منها الى الموصوف
هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي
تروحي اجدر ان تقيلي اي مكانا احرى بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول
اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما
حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي
عن نفس منها شيا من الاشيا وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذا لك
قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها
معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة
ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بنا الفعل للفاعل وهو
الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباهم الانبيا
يشفعون لهم فاويسوا قيل فيه دليل على ان الشفاعة لا
تقبل للعصاة قلنا انه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت
به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة ٥
الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع الى الثانية
العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل
منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع
الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها

شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يوجد منها   يعني ما دلت
عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتنكير بمعنى العباد والاناسي
كما تقول ثلاثة انفس اصل   اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت
النفس هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم
ولا يقال آل الاسكاف والحجام   علم لمن ملك العمالقة كقيصر
لمن ملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن
فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه الموسى الكليم فزاد افتضا
تفرعنه وفرط غرامه وقرئ انجيناكم او نجيتكم   من سامه خسفا
اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا
ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى
يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه   مصدر السيء يقال اعوذ
بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذ
كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره   بيان لقوله
يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا
وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها
وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه
يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتها
دهما في التحفظ وكان ما شاء الله   المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع
فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء   فصلنا بين بعضه وبعض
حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا بمعنى فصّلنا يقال فرق بين
الشيئين وفرّق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنا عشر على عدد الاسباط
ما معنى بكم   فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه
ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما يفرق بين الشيئين بما يتوسط بينهما وان يراد
فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا
بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني

اسرائيل

اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم فقال سيروا فانهم على طريق مثل
طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة
فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى
فتراءوا وتسامعوا كلامهم   الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما
دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد
الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة
وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده
الوحي ووعد المجيء للميقات الى الطور   مضيه الى الطور
بانزالكم   حين   من بعد ارتكابكم الامر
العظيم وهو اتخاذكم العجل   ارادة ان تشكروا النعمة في العفو
عنكم   يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق
والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين
الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية
والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات
او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل
النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر
قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا
وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر
ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة
وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ
الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا ولعن الله من مد
طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء
حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية
فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى

ما الفرق بين الفاءات الاولى للتسبيب
لاغير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة
من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون
القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم
والثالثة متعلقة بمحذوف ولا تخلوا اما ان تنتظم في قول موسى لهم فتعلق بشرط
محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم
على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم
باريكم من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ البارئ هو الذي خلق
الخلق بريا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه
من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم
من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة
ابريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة
في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره
بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا
النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شي منها قيل القايلون السبعون
الذين صعقوا وقيل فالة عشرة الاف منهم عيانا وهي مصدر من قولك
جهر بالقراة وبالدعا كان الذي يرى بالعين جاهر بالروية والذي يرى بالقلب
مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الروية فنصبت بفعلها
كما ينصب القرفصا بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرى
جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالمصدر لغلبة واما جمع جاهر وفي هذا
الكلام دليل على ان موسى عليه السلام راددهم القول وعرفهم ان رويته
ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الروية
فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح
البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة
كما سلط على اوليك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة

ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السما فاحرقتهم وقيل صيحة جات
جات من السما وقيل ارسل الله جنودا سمعوا حسها فخروا واصعقين ميتين يوما
وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله
فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون
وقرا علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة
البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رايتم باس
الله في رميكم بالصاعقة واذاقكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام
يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم
من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم
لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر
عليهم السلوى وهي السماني اسم طاير فيذبح الرجل منها ما يكفيه على
ارادة القول يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما
ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه بيت
المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب
باب وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب
شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا
روسهم فلم يخفضوها ودخلوا مترحفين على ادبارهم فعلة
من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسالتنا حطة
او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما
رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا
على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا
حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها هل يجوز ان

نصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة
لا يبعد ولا يجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل
ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد
المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه
ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا
مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار
فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس
الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر لانهم لو
جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان
حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل
قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة
حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب
ما يشتهون من اعراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح
امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف
فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي
انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون
الفا عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك
الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر
طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل
وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر
ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل
اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه
مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه
بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه
قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي

يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال
وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا
لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما
نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا
في ذراع وقيل كان مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله
عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان
يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت
او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على
هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين و
فتحها وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون
منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو
المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار
فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا
في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة
فنزعوا الى عكرتهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء
واذ قلتم على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما
لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها
كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي
التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا
من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات
فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب
ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض

من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس
والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه
فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها
وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة
وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال
هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال
بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير
الفرقبي ادنأ بالهمزة من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا
بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط
منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا
عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع
السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا
ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب
واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقراءة الاعمش
اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم
فعرب وضربت عليهم الذلة والمسكنة جعلت الذلة محيطة بهم
مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت
بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود
صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم
وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله
من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له
ومكافأته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من
ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم
وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعياء وزكرياء ويحيى وغيرهم
فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه

انهم

انهم قتلوهم بغير الحق فما فائدة ذكره عندهم لانهم لم يقتلوا ولا
افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم
فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون
به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك
تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم
حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل
هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل
الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا
فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل
الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين امنوا
بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا
والذين تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية
وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل
نصران وامراة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني
للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين
وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية
والنصرانية وعبدوا الملائكة من امن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا
ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي
يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من امن قلت الرفع
ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من
اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني
فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في
التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك
ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الاصار
والعهود والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل

فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى إن
قبلتم والا اتى عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من
الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه
احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه
لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا
ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا
فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما اتيتكم
وتذكروا واذكروا السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم
السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من
التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم
فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى
تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا
تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول
فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في
الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين
بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها نكالا
يعني المسخة عبرة تنكل من اعتبرها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما
بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان
مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من
الاخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا
عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تاخر منها
وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او
لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه ليرثوه
وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا

اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا او الهزو نفسه لفرط
الاستهزاء من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه
وقرئ هزؤا بالضمتين وهزءا بسكون الزاء نحو كفؤا وكفوا وقرأ
حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ
من واد واحد في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها
وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى
فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر
والفارض المسنة وقد فرضت فروضا وقال خفاف بن ندبة لعمري
لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل
وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت اخرها
والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون
فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن جاز دخوله على ذلك
قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض
والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشا رة
الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصا ر
في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل
نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول
له ما احسن ذاك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال
ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في
الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق
فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة
تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصول
ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى ما
تؤمرون به من قولك امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول
بالمصدر كضرب الامير والفقوع الصفرة وانصعه يقال في التوكيد
اشد ما يكون من

اصفر فاقع ووارس كما تقول اسود حالك وحالك وابيض يقق
ولهق واحمر قانٍ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق
خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون
فلم يقع توكيد الصفرا قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع
توكيدا الصفرا الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من
سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفرا فاقعة وصفرا
فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفرا فاقعة واي فائدة في ذكر
اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة
فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك
مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس
يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقع
وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفرا قل همه لقوله تسر الناظرين
وعن الحسن البصري صفرا فاقع لونها سودا شديدة السواد ولعله
مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها
كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف
زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى
بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصا
شوم وعن بعض الخلفا انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم
ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر
سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي
فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان
اخبرتك قلت اسود ام ابيض فاذا امرتك بشي فلا تراجعني وفي الحديث
اعظم الناس جرما من سال عن شي لم يحرم فحرم لاجل مسالته ان البقر
تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا

انا

الفادح وقرى تشابه بمعنى تتشابه بطرح التا وادغامها في الشين و
تشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر تشابه
بالياء والتشديد بدجا في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي
لو لم يقولوا ان شا الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى
ما خفي علينا من امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول ل
يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها
لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا
ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول
هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول
ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقري تسقي
بضم التا من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها
منه كقوله او متعبرا الطهر بني عن وليته ماجح ربه في الدنيا ولا اعمرا او مخلصة
اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شي من الالوان لا شية
فيها لا لمعة في نقبتها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفرا كلها حتى
قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه
لونا اخر ومنه ثور موشي القوائم الان جيت بالحق اي بحقيقة وصف
البقرة وما بقي اشكال في وصفها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة
لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون
استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشا فهم
ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سوالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها
وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في
ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها
الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه
فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى

اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا
طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي
تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعلوا الامر الاول قلت رجع
منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل
جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة
كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص
لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعدما تخصيص واذ قتلتم
نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم واختلفتم واختصمتم
في شانها لان المتخاصمين يدرا بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او
تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه
الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة
والتهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل
لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت
قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارء كما حكى الحاضر في قوله باسط
ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم
فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص
والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها
ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها
اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن
وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي
فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه
قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني
عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك
يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى

وقلنا

وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته
ودلائله على ان الله قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية
عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها
لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في
زمن رسول الله فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح
البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما
شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب
والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم
من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر
الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة
الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل
الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان
ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره
فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من نظر
اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة
دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم
يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت
بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان
الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت
فالقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها
فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كلما قص من قصص بني اسرائيل
انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد
فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع
من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك

المسارعة الى الامتثال وما تبع ذلك والثانية التقريع على قتل
النفس المحرمة وما تبعه من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر
بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب
الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استونفت الثانية
استيناف قصة براسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة
لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع
الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانهما
قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى ثم قست استبعاد القسوة
من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون
وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان
المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احيا القتيل والى جميع ما
تقدم من الايات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها
مثل الحجارة او اشد قسوة وا منها واشد معطوف على الكاف اما
على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي
نفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى
منها وهو الحديد مثلا ومن عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من
الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه
افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة
ووجه اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة
بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة
وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله
وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير
لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة
التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة

والكثره

والكثره وقرا مالك بن دينار ينفجر لما يشقق يتشقق وبه قرا الاعمش
والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الما
الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه
الما ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ يهبط بالضم والخشية مجاز
عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا
تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ تعملون باليا والتاء وهو وعيد افتطمعون
الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا ان يحدثوا الايمان
لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان
فريق منهم طايفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما
يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله واية الرجم
وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى
بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شيتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ
كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم
يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى
ان كفر هؤلا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا
قالوا يعني المنافقين منهم امنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر
واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الى الذين نافقوا قالوا
عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية
من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم لبقايام
اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون
المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم
بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا
محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله
هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم

الكفر واغلاثم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا
التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني
الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم
بخطاياهم وان اباهم الانبيا يشفعون لهم وما يمنيهم الاحبار من
ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة
سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب
في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤن
من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني
يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقاري يقدر ان
كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثنا المنقطع وقري اماني بالتخفيف
ذكر العلما الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام
الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سوا لان العالم عليه ان يعمل
بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم
يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما
تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون
من الرشا اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن
مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما يعذب
مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم
عنده عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى اي
الامرين كاين على سبيل التقرير للعلم واقع بكون احدهما ويجوز
ان تكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا
النار اي بلى تمسكم النار ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب
سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك
واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ
خطاياه وخطيآته وقيل الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وما

رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة
انظر في المصحف فكل اية نهى الله عنها واخبرك ان من عمل بها ادخله
النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كما تقول
تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر
والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتها فهو يخبر عنه وتنصره قراة
عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله
وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين
او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرايل اجراه
مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا
فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا ويدل عليه قراة
عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة
وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني
اسرايل توحيدهم وقري بالياء حكاية لما خوطبوا به وبالتا لانهم غيب
حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقري حسنا وحسنى على
المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون
وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه
اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه
يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون
عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون
اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء
استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق
منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون
يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة

تغيرا الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله
تقتلون بيان لقوله ثم انتم هولاء وقيل هولاء موصول بمعنى الذين
وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون
بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم
واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم
افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفدا وتكفرون ببعض اي بالقتال
والاخلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفا الاوس والنضير كانوا حلفا
الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائهم واذا غلبوا خربوا ديارهم
واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم
وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفانا خزي قتل بني قريظة
واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى
اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ تردون ويعملون بالياء والتاء
فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد
بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة الكتاب التورية اتاه اياها
جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب
وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل لقوله ثم
ارسلنا رسلنا تترا وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان
وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل
المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت
لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا لم
يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات
الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
وقرئ وايدناه وايدناه قويناه يقال الحمد لله الذي ايدني

بعد

بعد ضعف وقوة وجدلى بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة
كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال
وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه
لم يضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل
بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم
الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم
ما اتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به
فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز
ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على
ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر ففريقا كذبتم هلا قيل وفريقا
قتلتم قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد
استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم
بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم
له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني
فهذا اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة
مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من
الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد
الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن
من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا
قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع
الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون
فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان
تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا
اوعية للعلم نحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا
غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم

يعني بالقدر ... ما ... انتم اي باعدكم ...

من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز
نصبها على النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال
عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف
وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون
على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم
انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التوريه ويقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم
معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون عليهم يعرفونهم ان نبيا
يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح
عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم
فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة
على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على
ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا
فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا
اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا
بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل
او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
على من يشاء وبمقتضى حكمته ارساله فباؤا بغضب على غضب فصاروا
احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا
بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل
كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوريه ويكفرون بما
وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوريه وهو الحق مصدقا
لما معهم لانهم كفروا بما اسنها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما
يوافق التوريه فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتل الانبياء مع ادعائهم الايمان

بالتوريه

بالتوريه والتوريه لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون
حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة في غير موضعها وان يكون
اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به
من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم
به في التوريه قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف
طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن
سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا
في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب
الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم
نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يامركم به ايمانكم بالتوريه لانه
ليس في التوريه عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال
قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله
ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة
نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة
بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت
لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول
الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين
بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة
فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك
على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت
فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال
عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة
يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي

بما قدمت أيديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد
وبما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله
ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله
ولن تفعلوا فان قلت ما ادريك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا
لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم
من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك
فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين
علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول
الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال
ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب
وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك
فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم
من اشياء قالوها للمسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك
مما علموا انهم غير مصدقين فيه وما لا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا
فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه
مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم
وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون
كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين
تهديد لهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت
زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير
قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت
القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على
المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين
اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد
ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه

وفيه

وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون
الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم
في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ
فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم
بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك
وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش
الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار
سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم
على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين
اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في
وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل
منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء
فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على
طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت
هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى
على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن روي
ان عبد الله بن صوريا من احبار اليهود حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان
غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت
المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا
فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه
وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا
فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان
ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد

قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اتيكم لحبكم ولا اسالكم
لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى
اثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على
اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجي بالخصب والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر
ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه
بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر
لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرى جبريل بوزن
قنديل وجبريل بحذف الياء وجبرئيل بحذف الهمزة وجبرئيل بوزن قندعل
وجبرال بلام مشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن
جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله
الضمير في نزله للقران ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره
فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه
ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شي من صفاته **على قلبك** اي حفظه اياك
وفهمك **باذن الله** بتيسيره وتسهيله **فان قلت** كان حق الكلام
ان يقال على قلبي **قلت** جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل
ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك **فان قلت**
كيف استقام قوله فانه نزله على قلبك جزاء للشرط **قلت** فيه وجهان
احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث
نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له
صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب
في عداوته انه نزل عليك القران مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم
كارهون للقران ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون

الموجوم الذي عليه المالية ... واثق الرياء ... وله ...

لا نعطى كل واحد من كل محل اكثر من كراسين وشرط ان لا يحل من كتاب وقفه
المحل محكمة الفقه العسكرية سابع خامس عشر ربيع الاول سنة خمس وسبعين
وتسع مائة

موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد اديته واسات اليه وافرد
الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر وهو مما ذكر ان التغاير في
الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرى ميكال بوزن قنطار وميكائيل
كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال
ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه **عدو للكافرين** اراد
عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان
عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم
اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب **الا الفاسقون**
الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي
وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من
اية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون
اشارة الى اهل الكتاب **اوكلما** الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا
بالايات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابو السمال بسكون الواو على
ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين
فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرى عوهدوا وعهدوا واليهود
موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن ابائهم
فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة **نبذه** النبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرا عبد الله نقضه
فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض **بل اكثرهم لا يؤمنون**
بالتوراة وليسوا من الدين في شي فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا
يبالون به **كتاب الله** يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله
المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القران
نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا
يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه

وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل عما يرمى به وراء الظهر استغناء
عنه وقلة الالتفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا
العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا
حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا
الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك
سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون
السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة
وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشى ذلك في زمن سليمان
حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم
لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الجن والانس والريح التي تجري بامره
وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد
السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين كفروا هم الذين كفروا
باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم
واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل
على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل هاروت وماروت
عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله
للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل
به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن
لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم
يطعمه فانه مني وقرا الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما
علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه
ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم
السحر معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد
اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم
السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث

في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف
ابتلاء لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من
احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما
لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر
وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية
ولقد علموا اي هؤلاء اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين
على كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا
به انفسهم اي باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان
فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرا الزهري هاروت
وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا
وقرا طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع
الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج
واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش وما هم بضاري على بطرح
النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف
يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور قلت
كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم
نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم
جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم امنوا برسول الله
والقران واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب
الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم
لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في
جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها
كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت لم لا

قيل المثوبة الله خير لهم بدل لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز
ان يكون قوله ولو انهم امنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله
ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتدى لمثوبة من عند
الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى
عليهم شيا من العلم راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتان بنا
حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية
وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو
انظرنا من نظره اذا انتظره وقرا ابي انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى
نحفظ وقرا عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ
الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اى لا
تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما
اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا
سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان
حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع
قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا
او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم
ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله
عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول
الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين يعني اليهود
الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم من الاولى للتبيان لان
الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم
يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق
الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم
يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسد
ونكم

فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص
بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم
اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك
كبيرا
نصف حزب ٥
عليك كبيرا روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر
اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع
عنه غدا فنزلت ما ننسخ من اية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها
وقرئ ننسها ونتسها وقرئ بالتشديد ونتسها وننسها على خطاب الرسول
وقرا عبد الله ما ننسك من اية او ننسخها وقرا حذيفة ما ننسخ من اية
او ننسكها ونسخ الاية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر
بنسخها وهو ان يامر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها
تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب حفظها عن القلوب
والمعنى ان كل اية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها
معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات بخير منها للعباد
اي بما العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير
فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات
والارض يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو
اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها
على حسب مصالحها من نسخ الايات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم
تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل
عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه اباء اليهود على موسى من الاشياء
التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير
ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك
فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازورا وزيد
بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة

احد الى ترون انما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو
خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد
فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت الا اكفر بمحمد ما عشت فقالت
اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله
ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت
فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق
بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم
ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد
ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق وإما ان يتعلق بحسدا
اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا
معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله
بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب
الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من
خير من حسنة من صلاة او صدقة او غيرها تجدوه عند الله تجدوا
ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل
والضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا
من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله
وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد
منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد
كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد
الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن
الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين وقرا ابي بن كعب
الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن

تدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم
ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم
ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا
برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف ف
واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل
امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا
برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل
قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء
في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم
وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في
عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه
قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ ويكون
من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل
محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا
على يدخلها من اسلم على شيء على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة
عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم
الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا
كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب
للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب
وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله وامن به الا يكفر
بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني وشاهد بصحته وكذلك لك
كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك
الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم

ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين
ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم
في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت
اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى
والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية
فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل
فريق منهم من العقاب الذي يستحقه وعن الحسن حكم الله بينهم
ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول
منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز
ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها
كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله
مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس
الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه
واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد
الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد
الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول
لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين وكما قال عز وعلا
ويل لكل همزة لمزة والمنزل فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها
بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد
بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين
اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان
يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا

المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة
وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب
في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين وروي
انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال
قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه
في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد
هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرا عبد الله الا خيفا
وهو مثل صيم وقد اختلف الفقها في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو
حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره
وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية
وقيل فتح مداينهم قسطنطينية وروميه وعمورية ولله المشرق
والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها
ومتوليها فاي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة
بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى
انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت
لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية
فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا تختص اماكنها في مسجد دون مسجد
ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده
والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت
في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطا عميت القبلة
على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا
وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرا الحسن
فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا وقري

ما منه مجهولة وفي داود ننوبه ويسبولك ووري ويسوا والموءودة
متعلقا نم ايوا اتفقت المصاحف على حذف احدى كل واوين متماثلين
متقلتين في كلمة خطا صورة ونقديرا اذا كانت الثانية للجمع
متمحضا او اعرابا او دخلت لاقامة بنية كلمة سواء كانت الاولى صورة
للواو او صورة للهمزة نحو داود ووري والموءودة ونستوي به ونستوي
ويوسا نحو ولا تلوون على احد ولا يستوون وليسوء وجوهكم
في قراءة الماد وفاووا الى الكهف ويدرون ونادروا انفسكم
الموت ولا يطوون وليطوفوا واويكم ويدوا الجوا وانبوني ويستنبونك
ونحو الغاوون وتلوون ومستهزءون ومتكئون مما وقعت فيه
الثانية بعد مجانس لفظا وقولنا في كلمة احترز نحو قالوا وهم والذلك صف
احترز نحو وقالوا وزدنا قولنا خطا ليدخل نحو الموءودة وليسوءوا انما
انفصلنا فيه لفظا وزدنا قولنا صورة ونقديرا لاخراج نحو نبوءوا ابواو بن
فان الواوين فيه وان اتصلتا صورة فهما منفصلتان تقديرا
بصورة الهمزة التي حذفت لاجتماع الامثال بخلاف الموءودة و
ليسوءوا فلا حظ للهمزة فيهما في الصورة على المشهور فكانت غير
فاصلة لخفائها وعدم صورتها فوري والموءودة وداود مثال للبنا
فوعل ومفعولة وفاعول على القول بان الاسما الاعجمية توزن
ونستوي به مثال للصورة ويسوءوا ومراده قوله تعالى ليسوءوا وجوهكم
على قراءة الماد مثال للجمع واما على قراءة من قرا بالبا على التوحيد
او بالنون على الجمع فذلك حقيقة رسمه الا ان الاكثر رسمت في اخوه
على القرائن كما رسمت في قوله ان تبوءا صورة للهمزة ومعنى
قوله للبنا ان تكون زايدة لتكميل بنية مقصودة لاحد المعاني ومعنى
ابتدر المسارعة الى التمثيل بالموءودة لتحقق الواوين الملتقيين للهمزة
وتمثيل الناظم بيسوءوا فيه نظر لان قياس همزته ان لا يصور لها حرف
فلم يجتمع واوان وظاهر عبارة الناظم كغيره ان احدى الواوين المجتمعتين
تعلي

على الحد السابق نحو فادوا ولو وقعت الثانية بعد غير مجانس لها نحو
اووا ونصروا ولووا روسهم وليسوا كذلك فتكون هذا النوع خارجا
بالامثلة وربما ذكروه في ترجيح حذف الثانية من بعد ما يدل
عليها وهو الضم ولذا زدنا بعد سرد المثل قولنا بما وقعت فيه
الثانية بعد مجانس وقد تبين بما تقرر ان احدى الواوين التي تكون
تارة دالة على جمع وتارة داخلة في بنية الكلمة انما هي الثانية
وليس في كلام الناظم ما يشعر بذلك الا انه يستفاد من الامثلة
ووجه حذف احداهما كراهة المثلين قال في المقنع والثانية
عندي في الرسم في ساير ما تقدم هي الثانية اذ هي داخلة
لمعنى يزول بزوالها ويجوز ان تكون الاولى لكونها من نفس الكلمة
وذلك عندي اوجه فيما دخلت فيه للبنا خاصة يعني ان الاولى من نفس
الكلمة والثانية زايدة فيها والاصلي اولى بالاثبات من الزايد
وايضا الاولى متحركة والثانية ساكنة والساكن اولى بالحذف من
المتحرك في ذلك لتولده منه ولدلالة حركة المتحرك عليه

ان امروا والربوا بالواو مع الف وليس خلف ربا في الروم محتقر

ان امروا والربو مبتدا وبالواو خبره ومع الف حال وخلف ربا بالرسم
ليس وفي الروم صفة ربا ومحتقر اي متروك خبرها اي اتفقت
المصاحف على رسم واو والف بعد را ان امروا هلك في النسا وبعد
بالربو غير المنكر اين جا نحو لا تاكلوا الربا وذروا ما بقي من الربوا
واحل الله البيع وحرم الربوا واختلفت في وما اوتيتم من ربا في
الروم ففي بعضها بالف وفي بعضها بواو والف ووجه امروا
ان همزته صورت واوا على قياس المتطرفة بعد حركة وعلة زيادة
الالف الحمل على واو الجمع وهو لابن العلا او تقوية للهمزة وهو
للكسائي ووجه الربوا التنبيه على الاصل لانه مصدر ربا يربو
والربو الزيادة واصله الربو فاستثقلوا الحركة على الواو فاسكنوها

فانقلبت الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها فردوها في الخط الى
اصلها وعلة زيادة الالف الحمل على واو الجمع

باب حروف من الهمز وقعت في الرسم على غير قياس

والهمز لغة مصدر بمعنى الضغط والدفع ويستعمل اسم جنس
جمعي بينه وبين مفرده سقوط التا ومفرده همزة وجمعها
همزات سمي به اخر الحروف لما يحتاج في اخراجه من اقصى
الحلق الى ضغط الصوت ويستعمل ايضا مصدرا بمعنى النطق
بالهمزة يقال همزت الكلمة اذا نطقت بها بهمزة ومذهب
سيبويه ان الهمز يراد فه النبر ومفرده نبرة وسميت بذلك
لارتفاعها من اقصى الحلق لان النبر لغة الرفع ومذهب الخليل
ابن احمد وجماعة ان النبر اسم للهمز المخفف فهما متباينان
والصحيح ان الهمزة حرف بدليل تلقيها بالحركات كغيرها من الحروف
خلافا للمبرد في قوله انها ليست حرفا وانما هي من قبيل الضبط و
الشكل مستدلا بعدم ثبوتها على صورة واحدة وبانها ليست لها
صورة مستقرة ورده ابن جني بان انقلابها في بعض احوالها العارض
يعرض من تخفيف او بدل لا يخرجها عن كونها حرفا قال بل انقلابها
ادل دليل على كونها حرفا كغيرها من سائر حروف الابدال ولما
كانت الهمزة ثقيلة توسعت العرب في تخفيفها واستغنوا به
عن ادغامها الا ما شذ نحو سال و بار واقراية فلذلك لم يرسموا
لها صورة بل استعاروا لها شكل ما تؤول في تخفيفها اليه تنبيها على
توسعهم فيها وزعم ابن جني واسنده الى القرا وابي بكر محمد بن الـ
بيان
ان الالف التي في اول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة وانما
كتبت واوا مرة ويا اخرى على مذهب اهل الحجاز في التخفيف ولو
اريد تحقيقها البتة لوجب ان تكتب الفا على كل حال قال ويدل
على صحة ذلك كتبها الفا حيث يتعين تحقيقها وذلك في الابتدا وعلى
هذا

هذا وجدت في بعض المصاحف يستهزاون بالف قبل الواو وان من
شي الا يسبح بحمده بالف بعد اليا وانما ذلك لتوكيد التحقيق ولا
خفا ان اصل الهمز هو التحقيق ويقابله التخفيف وهو لغة اهل
الحجاز وانواعه ثلاثة احدها الابدال ويراد فه القلب وهو
اصل في الساكنة ثانيها التسهيل ويراد فه بين بين ان تجعل حرفا
مخرجه بين مخرج المحقق ومخرج حرف المد المجانس لحركتها او حركة
سابقها وهو اصل في المتحركة المتحرك ما قبلها ثالثها الحذف وهو
اسقاطها رادة مدلولا عليها وغير مدلول عليها ولم يات الا في
المتحركة ويرادف به النقل والهمزة المخففة بين بين متحركة عند
البصريين ساكنة عند الكوفيين ولكل دليل محله غير هذا والرسم
لغة الاثر وعرفا يرادف الكتابة والخط وهو تصوير اللفظ بحروف هجايه
بتقدير الابتدا به والوقوف عليه ويطلق الرسم كثيرا ويراد به المرسوم
اعني الحروف نفسها وهو المراد هنا وال فيه للعهد والمعهود
رسم القران وكان ينبغي للناظم ان يذكر اولا قياس رسم الهمزة
لان معرفة ما وقع على غير قياس متوقفة عليه وايضا يعرف به كل
فرع من ابواصل انشعب واسقاط الناظم له خلل يتفرع عليه
غير اصل واعلم ان الهمزة باعتبار قياس رسمها على ثلاثة
اقسام مبتداة ومتوسطة ومتطرفة اما اقسام المبتداة فتصور
الفا على باي حركة تحركت من فتح او ضم او كسر نحو انعمت واتي
واحد واوتي وانزل وارحبي واولئك وابراهيم واياك والا واذ واذا
ونحوها وكذلك حكمها ان اتصل بها حرف دخيل زايد على بنية
الكلمة نحو بايمان وباموالكم وباية وبابيه وفبايي ولبامام وتيلف
ولاخوانهم ولابيه ولاولهم وتلاميذه وامانت وسا صرف وسانزل
وسا وريكم ولا قطعت ولاو صلبنكم ونحو الايمان والاحسان والارض
والاخرة ويندرج في المبتداة همزة الوصل نحو الحمد لله اهدنا

الصراط اعبدوا ربكم وفي التي اتصل بها حرف دخيل كمات وكاين سنا
علي زيادة الكاف علي كلمتي ان واي وهو مذهب الفرا حكاه النحاة
في جعلها بالتركيب جزا من الكلمة ولذا يقولون في مجموع كان
حرفا ناسخا ولا يعدون الكاف حرفا جارا للمصدر المنسبك من ان
وخبرها كما يقولون ذلك في بان ولان مما دخل فيه حرف الجر علي
ان ويجعلون مجموع كاين اسما لعدد مبهم وقد مثل في المقنع
بهما معا للمبتداة التي اتصل بها حرف دخيل الا مواضع معلومة
رسمت علي مراد الوصل فصارت الهمزة بذلك في حكم المتوسطة
واما المتوسطة فتنقسم الي ساكنة ومتحركة فالساكنة تصور
من حركة ما قبلها نحو جيتهم وانبيهم ومومن وشبه ذلك الا فلعا رئيهم
ولفظ الرويا كيف وقع فلا يجعل لها صورة وكذلك امتلت واطمئنتم
علي خلاف والمتحركة اما ان يكون ما قبلها ساكن او متحرك فان
كان ساكنا فاما الف او غيره فان كان الفا صورت من حركة نفسها
المضمومة واوا نحو ما وكم وابناوكم وشبهه والمكسورة يا نحو ابايهم
ونسايهم وشبهه ومنه اسرايل وشبهه الا المفتوحة فانها لا
تصور لما يودي اليه من اجتماع الفين وان كان الساكن غير الف فلا
يجعل لها صورة صحيحا كان او معتلا نحو سيل وشيا وسوا وشيا
وشبه ذلك الا مواضع خرجت عن هذا الاصل فرسمت من حركة
نفسها وهي النشاة ويسالون عن انبايكم علي خلاف وموىلا
والسوا ان كذبوا وان كان متحركا فاما ان تنفتح هي او لا فان انفتحت
فانها تصور بعد الضمة واوا وبعد الكسرة يا نحو موجلا وهزوا
وكفوا وملبت وماية وفية وشبه ذلك وكذلك تصور بها ان انضمت
وانكسر ما قبلها في مواضع معلومة وهي انبيكم وينبيهم وسانبيك
وسنقريك وشبه ذلك من لفظه وما سوي ما ذكر ترسمه من حركة نفسه
باي حركة تحرك نحو يدروكم وبارىكم وسالوا وشبه ذلك واذا ذهب
رسمها

رسمها الي جمع المثلين فلا تصور نحو جاكم واباكم وملجا ومارب
وحشيين ومتكون ومستهزون واباي ودعاي وان تبوا والسيان
واما المتطرفة فساكنة كانت او متحركة فان كان ما قبلها متحركا
فانها تصور من جنس حركة ما قبلها نحو نبي عبادي وامري
وامرو وقرا وشبه ذلك وان كان ساكنا مطلقا فلم تجعل لها صورة
الا حروفا خرجت عن هذا الاصل في القسمين ووجهوا التزام
تصوير المبتداة مطلقا بعدم سقوطها لفظا وكثرة الالتباس بحذفها
علا الا فعال الثلاثية مع الرباعية نحو كرم واكرم وكما تعل التفضيل مع
الوصف نحو توح وافرح وكالمعرف مع ذي لام الابتدا والجر في نحو الرجل
والكل لرجل واعطيت لرجل وغير ذلك ووجهوا التزام كون تلك الصورة
الفا وان كانت الهمزة اما تصور بما تول اليه في التخفيف وهذه لا حظ لها
فيه لانه يقربها من السكون باتحاد مخرجيها وتقاربهما وبان المبتداة
لما لم تخرج عن التحقيق والا لعد لا تخرج عن المد واللين كانت اشبه بها
من الواو والياء كذا قالوا ويظهر انهم التزموا فيها الالف لعدم الالتباس
من اجل ان الالف حرف ساكن لا يمكن النطق به في الابتدا ابدا فدل
علي الهمزة بخلاف الواو والياء اذ يمكن تحركهما والنطق بهما في
الابتدا فلا يدري هل المكتوب همزة او واو مثلا وقد تقدم مذهب
ابن جني وغيره في ان الالف شكل الهمزة كما انها شكل الهاوي
ايضا ووجه تصوير الهمزة بمجانس حركتها او حركة ما قبلها التنبيه
علي ما تول اليه في التخفيف ووجه عدم صورتها التنبيه علي حذفها
فيه وازها بها بالادغام واما حذف نحو سان والمستهزين
ويدرو بكم فلتعارض المثلين والهمز الاول في المرسوم قبله الف سوي الذي
والهمز مبتدا والاول صفته في المرسوم صفة اخري وصورته
الف اسمية خبره والمراد بالمرسوم المكتوب في المصحف وال فيه للعهد
والمعهود مرسوم المصاحف العثمانية وسوي الهمز الذي قد كتب

بقصد الوصل مستثنى من الالف اخيرا مع الاطلاق الشامل لجميع
الرسوم ان الهمزة الواقعة في اول الكلمة تحقيقا او تقديرا ان تصور
الفا باي حركة تحركت نحو اباءك نقيد وانعمت عليهم واولئك على
هدى من ربهم ونحو بايمان وليلف ورمانه وكتابيه وسائل وسادريكم
ثم استثنى من الواقعة في اول الكلمة تقديرا على وجه الاطلاق
ايضا اربع عشرة كلمة كتبت على ارادة وصلها بما قبلها فصارت
الهمزة بذلك في حكم المتوسطة واقتضى قياس المتوسطة نحو بر
احد عشر منها يا وثلاثة واوا وذلك رعيا للغة من يجري هذا النوع
من المبتداة في التخفيف مجرى المتوسطة حقيقة ومن تلك الكلم اربع
اتصلت بما يمكن استقلاله وهي يومئذ وحينئذ وهولاء ويبنؤم وباقيها

فهولا بواو ويبنؤم به   ويبنؤم تصلم كله سطر ا

فهولا رسم همزه بواو كبرى ويبنؤم رسم همزه به ابي بواو اخرى
ويبنؤم مبتدا اخره فصله ابي بعد طرفيه بوسطه وسطر الرسام لكل المذكور
ما منه وليس سطر مع سطر ابطالا خلاف الصفتين اما هولا فهو
اشيو في باسمها هولا دخلت ها التي للتنبيه على اولا الذي هو اسم
اشارة فكان قياس همزته ان تصور الفا اذ هي مبتداة اتصل بها
كلمة ها لكن لما نزل الجميع منزلة الكلمة الواحدة صارت الهمزة بذلك التقدير
في حكم المتوسطة وهي بعد الالف فكان قياسها ان تصور من حركة
نفسها وقد اختلف في واو هولا فمذهب اهل المصاحف انها صورة
للهمزة كما اقتضاه كلام الناظم ومذهب النحاة انها المزيدة في اولئك
وان الهمزة غير مصورة وقد تقدم حذف الف ها التنبيه والفا نه ليست قيدا
واما يبنؤم فنحو طه قال يبنؤم لا تاخذ بلحيتي اصله ابن المنادى
بملفوظ الى ام فكان قياس همزته ان تصور الفا اذ هي مبتداة اتصل
بها ابن المنادى لكن لما نزل الجميع منزلة الكلمة الواحدة صارت الهمزة
بذلك التقدير في حكم المتوسطة وهي مضمومة بعد فتحة فكان قياسها

قياسها ان تصور من حركة نفسها واحترز بقيد المجاور عن الخالي
عنه وهو في الاعراف قال ابن ام ان القوم استضعفوني وقال في الممتنع
عن الابتداء به وكتبوا في طه يبنؤم بالوصل كلمة واحدة قال الجعبري
وهذه اربع كلمات حذفت الرابعة ورسمت الثلاث ثم واحدة ونقدم
حذف الف يا وبقيت الف همزة ابن كما نص عليها الشاطبي وراءها الثم
قال ان اصلها تصلت بالياء واتصلت النون بواو همزة ام الجر
وهو صريح في ثبوت همزة الوصل وذلك مخالف لقول التنزيل وكتبوا
يبنؤم كلمة واحدة متصلة على خمسة احرف على وجه الاقتصار
اه وقد نص اللبيب على ذهاب الف ابن راسا قال ويذهابها وجب
الاتصال اه وهو صحيح نظرا الى ان وصل الكلمتين او الكلم هو عبارة
عن تنزيل المجموع منزلة الكلمة المفردة واعطائه حكمها واثبات الالف
مناف لذلك لانه مبني على الانفصال والوقف والابتدا وفي يبنؤم
مخالفة للقياس من ثلاثة اوجه الاول حذف الف الوصل وكان ينبغي
رسمها كما رسمت في ابن اذا كان صفة او خبرا كما تقدم وان كانت
لا تثبت في الوصل لفظا لان الرسم مبني على الوقف والابتدا الثاني
وصل نون ابن بما بعدها وبائه بما قبلها والاصل فصلهما الثالث رسم
همزة ام بالواو والقياس رسمها الفا لانها مبتداة وقوله كله مفعول
سطر كما تقدم ويحتمل ان يكون تاكيدا لها رفعا للتوهم وصل ا تثبت ....
منها وان يكون لها ولهولا وهو متعدد ووجه الوصل قصد امتزاج
المتنبه بالمنبه والندا بالمنادى والمضاف بالمضاف اليه عندنا وبله
بالواحد المدلول عليه بالحذف والظاهر انه لا فرق بين يبنؤم في طه وابن
ام في الاعراف في كتب احدهما على ارادة الاتصال دون الاخر الا الجمع بين
اللغتين

ابتلم بانا في العنكبوت وفي   الانعام مع فصلت والنحل كذ زهرا
رضى في ابدا هنا اذا وقعت   وقل اين لنا نجعل في الشعرا
وتوقف صابينا انا بار سموا   وزد اليه الذي في النحل مذكرا

وهمز ابنكم باسمية وثاني العنكبوت وفي الانعام مع فصلت والنمل
صفة ابنكم وقد ظهر ابو ظهر رسم اليا في هذه المواضع وانها ما فية
وضعها ما فية مجهولة او امرية وايذا باليا رفع او نصب وفي سورة
ايذا ونعت متعلقه واين لنا باليا مبتدا وتخص في الشعرا خبره
ورسموا في الكتاب بما فية وبا ابنا مفعوله وثانيا حال ابنا ونوف
صاد بعني الصفت ظرفه وزاد امرية والموضع الذي في النمل مفعوله
والبدا في الموضع الصفت متعلقه ومذكرا حال فاعل زدمنا اذكر
اتنقل من ذكر اما ابنكم في الانعام ابنكم لتشهدون وفي النمل
والعنكبوت ابنكم لتاتون الرجال وفي فصلت ابنكم لتكفرون دخلت
همزة الاستفهام على انكم فكان قياس همزته ان تصور الفا لانها
مبتداة اتصلت بها همزة الاستفهام لكن لما نزل الجميع منزلة
الكلمة الواحدة صارت الهمزة بذلك التقدير في حكم المتوسطة
وهي مكسورة بعد فتحة فكان قياسها ان تصور من حركة
نفسها وعرف الناظم مع موضع العنكبوت بالثاني ففهم منه ان الاول
وهو ابنكم لتاتون الفاحشة بلا يا واما ايذا في الواقعة فهو ايذا متنا
وكنا ترابا دخلت همزة الاستفهام على اذا ففعل بها مثل ما فعل بابنكم
واحترز بقيد السورة عن الواقع في غيرها وهو متعدد في الرعد
وغيرها وفهم من قوله خص انه ليس في القران غيره مكتوبا باليا واما
ابن لنا في الشعرا فهو ابن لنا اجرا دخلت همزة الاستفهام على ان
ثم سلك به مسلك ابنكم قال في المقنع وقال محمد عن نصير بن يوسف
النحوي فيما اجتمعت عليه المصاحف كتبوا ابن لنا لاجرا في الشعرا
باليا وفي الاعراف ان لنا لاجرا بغير يا اهـ وقوله ان لنا لاجرا بغير يا
في الاعراف مفهوم من منطوقه الاول ومن ثم حذفه الناظم واكده بقوله
خص واما اينا في النمل فهو اينا لمخرجون وفي الصفت اينا لتاركوا الهتنا
دخلت همزة الاستفهام على انا المركب من ضمير جماعة المتكلمين وان
المحذوفة

المحذوفة النون الثانية لتوالي الامثال ثم سلك به مسلك ابنكم
وعرف موضع الصفت بالثاني وعبر عنها بنون صاد تحرزا عنه
اولها انا لمبعوثون وثالثها انا لمدينون بلا يا وقوله مذكرا فيه
اشارة الى انه قد تقدم ذكره وهو في الفرش في الرابع الثالث قال
الشام فيها اثنا سطرا ايمة واين ذكرتم وايفكا بالعراق ولا نقص
ورسم باايمة واين ذكرتم وائفكا ما فية وفي مصاحف اهل العراق
متعلقه ولا نافية ونقص بالرفع والتنوين اي نقل اسمها وخبرها
مقدر اي في ذلك وفيجبر منصوب بان مضمرة بعد فا جواب النفي
اي فيمتنع جبره اما ايمة ففي التوبة فقتلوا ايمة الكفر وفي
الانبيا والسجدة وجعلنا هم ايمة يدعون الى النار واصله
اءممة بوزن افعلة جمع امام كالهة جمع اله وانية جمع انا ثم
نقلت حركة الميم الى الساكن قبلها لما اريد ادغامها في مثلها فصار
ايمة بكسر الهمزة الثانية فاقتضى القياس فيها ان تصور يا لتوسطها
محققا مكسورة بعد فتح وفهم عموم ايمة من الاطلاق وقد استدرك
على الناظم ذكر ايمة في تعداد ما اصله ان يصور الفا وعدل به عن اصله
وذلك لان همزتيه معا من بنية الكلمة فليست ثانيتهما مبتداة اتصل
بها حرف دخيل تحقيقا كما تقدم في تقديره ولا درك على ابي عمرو على في
ذكره لها لانه ذكرها في ترجمة ما رسمت اليا فيه على مراد الملينين
اي التخفيف من غير تعيين لمبتداة ولا غيرها ولا شك ان همزة ايمة
الثانية لم تصور يا الا على ارادة التليين واما اين ذكرتم ففي يس دخلت
همزة الاستفهام على ان ثم سلك به مسلك ابنكم وقوله ولا نقص
فيجبر اي ليس نقص في ذلك فيجبر اي فيمتنع ان لا نرسم هذه الالفاظ
باليا اولا نقص في ذلك يخالف لما ذكر فيجبر اي فيمتنع رسم اليا فيها
والمصاحف العراقية قد علم رسمها وما ثم يعارضها فيجب ان يعتقد
صحة رسمها وان لهم في ذلك مستندا لانها مصاحف قديمة فالظاهر

بنجعوا

انهم لا يقدمون على رسمها كذلك الا بمستند ولو وجد الرسم بغير
يا في شيء من المصاحف لم يعارض ذلك الا ان يوجد نقل صحيح عن
جميع المصاحف العثمانية انه لم ترسم فيها اليا في شيء منها فحينئذ
يجب ان يتبع ويترك ما سواها ويعتقد ان اهل العراق ليس لهم في
ذلك مستند ووجود ذلك عسر قال في المقنع وتتبعت ما بقي من هذا
الباب في مصاحف المدينة والعراق الاصلية القديمة اذ عدمت النص
في ذلك فوجدت فيها التي ذكرتها في يس وايتاي الهمز في والصفت وايمة
يهدون وايمة الكفر وشبهه من لفظه بالياء وكذا هو في هجا السنة
اهـ ومراده بالنص النقل عن المصاحف العثمانية التي جعلت ائمة
في الامصار او رويتها والظاهر انه لم يصح عنده ما في الهجا ولا فهو

وبيومئذ وليلا حينئذ ولين ولام الف لا هب يدرا الامام سرا

وهمزة يومئذ وليلا ولين باسمية ولام لا هب والفه مبتدا ومعطوف
ثم ركبا ثبيا على الفتح وسكن الذال والف وحذف همزة الف للوزن
ولا هب حي بالاضافة ويدرا الامام ابو نافع رسمه مبتدا اخر ومضاف
اليه الي بقية الرسوم خبره والجملة خبر الاول ورسم واو في اونبيكم
مانية اما يومئذ فنحو يومئذ يتبعون الداعي ائتي يوم الحاذ فكان
قياس همزته ان تصور الفا اذ هي مبتداة اتصل بها حرف دخيل
لكن لما نزل الجميع منزلة الكلمة الواحدة صارت الهمزة بذلك التقدير
في حكم المتوسطة وهي مكسورة بعد فتح فكان قياسها ان تصور
من حركة نفسها واما لئلا فنحو لئلا يكون للناس عليكم حجة دخلت لام
كي على ان لا فكان قياسها ان تصور الفا لانها مبتداة لكن لما نزل
الجميع منزلة الكلمة الواحدة صارت بذلك التقدير متوسطة وهي
مفتوحة بعد كسرة فقياسها ان تصور يا واما حينئذ فنحو وانتم
حينئذ تنظرون فعل به ما فعل بيومئذ واما لئن فنحو لئن لم ينته
دخلت اللام الموطية للقسم على ان الشرطية فعل به ما فعل بلئلا

وفهم

وفهم اليا في النظم من عطفه على اليا ولا يفهم منه الوصل المصرح
به في المقنع وفهم العموم من الاطلاق ووجه الوصل التنبيه
على افتقار المضاف اليه وتوحد لام كي والقسم واما لاهب
فنحو مريم قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ذكر في المقنع
في باب ما رسم بالالف على اللفظ او لمعنى بسنده عن ابي عبيد
ان المصاحف كلها اجتمعت على رسم الالف بعد اللام في قوله تعالى
في مريم لاهب لك اهـ وقد قراه ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي
وابن عامر وقالون في احد الروايتين عنه بالهمز والرسم مطابق
لهذه القراءة وقراه ورش وابو عمرو بن العلا وقالون في الرواية
الاخرى عنه باليا وقد ردها ابو عبيد القاسم بن سلام لما رد من
القراءات ما خالف المصحف والقراءة بها على قبولها لان الخط لا يلزم
مطابقته للفظ بكل اعتبار الا ترى انك كتبت الهمزة فيه
وهي مبتداة الفا وليس ذلك الا لقصد التحقيق ومع ذلك لم يكتب ما فيها
من قراءة ابي عمرو بن العلا لها واوا وقد نظر الجعبري لاهب في قراءته
بيا المضارعة مع كتبها الفا بالصراط ونظيره بعموم على ما قرر فيها
واختار هذه القراءة لسلامتها من المجاز لان الفعل مسند الى الله تعالى
وعلى قراءته باليا فيه التناظم على كتبه بالالف واما على قراءة الهمز فقال عل
اهب اما ضمير الرسول المتكلم اسندت الهبة اليه مجازا لكونها على
يديه او ضمير يعود على الله تعالى فيكون على تقدير القول والمعنى
انما انا رسول ربك يقول لاهب لك ووجه الالف انه قياس المبتداة
باعتبار الاصل على قراءة الهمزة ويوافق الاخرى تقديرا واهل الشكل
والنقط يجعلون على الالف يا بالحمرا لتدل على ان الهمزة في هذه القراءة
ملينة مبدلة لكسرة اللام واما اونبيكم فنحو قل اونبيكم بخير
من ذلكم دخلت همزة الاستفهام على انبيكم ثم سلك به مسلك يومئذ
قال في المقنع وكذلك اتفقت المصاحف على رسم واو بعد الهمزة

يسمع ما تدعونه ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو
مستجيب لك وموصلك الى مرادك **صبغة الله** مصدر مؤكد منتصب
عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ
كالجلسة من جلس وهي الحالة التي تقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله
لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ما اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا
فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمون
بان يقولوا لهم قولوا امنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا
وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان
صبغة ولم نصبغ صبغتكم وانما جي بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة
كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام
ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم
به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله **ونحن له عابدون**
عطف على امنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل
من ملة ابرهيم او نصب على الاغرا بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم
واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو
الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قرا زيد بن ثابت اتحاجونا
بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي من العرب
دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة
منا **وهو ربنا وربكم** نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب
برحمته وكرامته من يشا من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون
عربي اذا كان اهلا للكرامة **ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم** يعني ان العمل هو
اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطا الكرامة فنحن
كذلك ثم قال **ونحن له مخلصون** فجا بما هو سبب الكرامة اي
نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه

بكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا
اهل كتاب والعرب عبدة اوثان **ام يقولون** يحتمل فيمن قرا بالتا ان
تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون
المحاجة في حكمة الله ام ادعا اليهودية والنصرانية على الانبيا والمراد
بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة
للانكار ايضا وفي من قرا باليا لا تكون الا منقطعة بمعنى بل **انتم اعلم ام الله**
يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما **ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله** اي كتم
شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل
معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة ده
وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا
فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر بر
شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة
مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله **سيقول السفها**
الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون
النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزا وقيل المشركون قالوا
رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت
اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجاة
المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع
لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه
اقطع للخصم وارد لشغبه وقيل الرمي يراش السهم **ما ولاهم** ما صرفهم
عن قبلتهم وهي بيت المقدس **لله المشرق والمغرب** اي بلاد المشرق
والمغرب والارض كلها **يهدي من يشا** من اهلها **الى صراط مستقيم**
وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس
واخرى الى الكعبة **وكذلك جعلناكم** ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم

امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء وكذلك استوى
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام وانطوا
الثنية يريد الوسطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثنية وهو وسط
الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط
لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة
ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث
حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطا
تمه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم
يجحدون يوم القيمة تبليغ الانبيا فيطالب الله الانبيا بالبينة
على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في
كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف
اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا فان قلت
هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب
والمهيمن على المشهود له جي بكلمة الاستعلا ومنه قوله تعالى والله على
كل شي شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشها
دة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم
بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا قلت
لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون
الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي
ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة
الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول
وما

وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا
بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلا لنعلم الثابت
على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه
فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية ويجوز ان
يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان
تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض
وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت
المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر
عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه
كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل
عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزا وهو ان يعلمه موجودا
حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خوا صه
واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم
به يحصل التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام
الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة
القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون
للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثا
بتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطف
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا
بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك
تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى
بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا

فنزلت لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن
الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى
الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب
الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة
ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك
علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف
وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله
وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق
ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيّع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه
كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك
تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم
وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود وكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك
ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك
تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك
الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام
نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البرا
بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال
الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني
سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة
واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال
فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية
الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه

حرج

حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب
مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق اي ان التحويل الى الكعبة هو
الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين بغافل
قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط
بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا
قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن
مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت
بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو
ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا
في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع
قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة
لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت
المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب
فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان
والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن
اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده
في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير
بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة
الامر انك اذا لمن الظالمين المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك
لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل
بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت
كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى
قبلة قلت قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله
عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين
المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم

وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك
في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبّل عمر راسه وجاز
الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على
السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه
علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القران او تحويل
القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم تشبيه للمعرفة العقلية الحاصلة من مطالعة الكتب والنظر بالمعرفة الحسية في ان كلا منهما يقين لا يشتبه ذلك ويعضده الحديث
عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور
اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وقال
قوله فريقا منهم استثناء لمن امن منهم او لجاهليهم الذين قال فيهم
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق
خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومبتدا خبره من ربك وفيه وجهان
ان تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله
او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو
الحق من ربك وان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني
ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله
كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت
الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان
يكون حالا وقرا علي رضي الله الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون
الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع
علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة هي
قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها هو موليها وجهه فحذف
احد المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة
على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم
المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها

اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها
منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من
امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة
اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا
الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف
لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات
وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات
المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة
واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن اي
بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه
وان هذا المامور به وقرئ تعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد
امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة و
تسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر
عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر
فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه
لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا
الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم
قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم
يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت
كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته
في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت
لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب
عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم
واسماعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له
فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله

عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف
منهم فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني
فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف
معناه ولاتم نعمتي عليكم واردتي اهتداكم امرتكم بذلك او عطف
على علة مقدرة كانه قيل اخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو
معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي
الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله
اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا
بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني
بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا
تكفرون ولا تجحدوا نعماي بل احيا هم اموات بل هم احيا ولكن
لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احيا
عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح
كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع
وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا
يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كان
في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر
ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم
هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة البلايا او طرف
منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع
تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي
انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون
فقيل امصيبة هي قال نعم كل شي يوذي المومن فهو له مصيبة وانما
قلل في قوله بشي ليوذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه

مايثقل

ما يثقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل
حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم
ونقص عطف على شي او على الخوف بمعنى وشي من نقص الاموال والثمرات ب
وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رضي
الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص
من الاموال الصدقات والزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال
الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم
ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد والصلوة الحنو والعطف فوضعت موضع الرافة وجمع
بينها وبين الرحمة لقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى
عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون
لطرايق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله الصفا والمروة
علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعاير جمع شعيرة وهي العلا مة
اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في
المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم
وقرى ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعاير
الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا
اساف وعلى المروة نايلة وهما صنمان روي انهما كانا رجلا وامراة
زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت
المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما
فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما
لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم

الجناح واختلف في السعي فمن قال هو تطوع بدليل رفع الجناح
وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما
ان يتراجعا وغير ذلك وكقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع
خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير ويعم
قراة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة
رحمه الله انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شي
عليه وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما هو ركن لقوله عليه السلام
اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرى ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع
فادغم وفي قراة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون من
احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات من الايات الشاهدة
على امر محمد عليه السلام من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب
في التورية لم يدع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا
الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله
ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملايكة
والمومنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا
ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما
احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا
يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا يعني
الذين ماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم امواتا بعد لعنتهم
احياء وقرا الحسن والملايكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل
اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من
ان ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملايكة
فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر
قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المومنون وقيل يوم القيمة
يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها

اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي
لا يمهلون ولا يوجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر
اليهم نظر رحمة اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح
ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثبا ته
الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شي سواه بهذه
الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين
حول الكعبة ثلثمايه وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا
وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما
لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما
ينفع الناس بالذي ينفعهم مما تحمل فيها او ينفع الناس فان قلت
قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل
فاتصل به وصارا جميعا كالشي الواحد وكانه قيل وما انزل
في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على
معنى فاحيى بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا
وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة عاصفة ولينة وعقيما
ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر
بحر الرياح تقلبه في الجو بمشية الله تمطر حيث شا لايات
لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها
دلايل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر
بها وقرى والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد اندادا
امثالا من الاصنام وقيل من الروسا الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم
وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين

اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم
تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله
على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه
غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا
يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين
فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه
ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعا
ؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او
ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا
اشارة الى متخذي الانداد ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم
العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب
دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب
يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة
ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ
وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على
خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما
وقرئ اذ يرون على البنا للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى
اصحاب الجنة اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا المتبوعون
وهم الرؤسا من الاتباع وقرا مجاهد الاول على البنا للفاعل والثاني
على البنا للمفعول اي تبرا الاتباع من الرؤسا ورأوا العذاب الواو
للحال اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرا
والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانسا
والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى
التمني ولذلك اجيب بالفا الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت

لنا

لنا كرة فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الارا الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل اري ومعنا ه
ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم
وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة
في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص حلالا مفعول
كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان فتدخلوا في حراما او شبهة او تحريم حلال او تحليل
حرام ومن للتبعيض اذ كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات
بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة
جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين والخطوة
المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة
والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى
به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفا به انما يامركم
بيان لوجوب الانتها عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط
وانما يامركم بالسوء القبيح والفحشا وما يتجاوز الحد في القبح من العظا ئم
وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشا ما يجب فيه الحد وان تقولوا على
الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم
ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف
كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت
شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا
وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وسا وسه
ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ولامرنهم فليغيرن
خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان ه
يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم
على طريقة الالتفات للندا على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد

كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم
المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فانهم كانوا
خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه
آباءنا أولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب
معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون
للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل
الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كالبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم
الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من
غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا
دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه
شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم
الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت
لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم
لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك
هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم لا يفقهون أهم على حق أم باطل وقيل معناه
ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء
لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق
المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل

فانعق بضأنك يا جرير فانما ... منتك نفسك في الخلاء ضلالا

واما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات
ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا
الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة
وتقرون ان الله مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر

غيري قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم
بوزن كرم وما أهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك
قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر
بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما
يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت
لي ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في
العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك
والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة
والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما
في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف
لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت
لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم
سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في
بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها
عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية
التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط
طيبة النشر وقال يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا
لتلبسه به لكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل
الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام
عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل
لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم
على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة
منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على
القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذ

وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى
وهذا اصل بمعنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال
قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق
صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله
ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من
الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق
وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق
والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون
وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم
اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر
هولاء ان يكفروا البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب فان اليهود تصلي قبل المغرب
الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر
القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل
واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس
البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما بينه وقيل
كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم
الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن
البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه
الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان
تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن
البر من امن بالله على تاويل حذف المضاف اي بر من امن او بتاويل
البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت
ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح الباء ولكن البار وقرا ابن عامر
ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القران على حبه

مع

مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان
تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى
اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب
الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه
وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين
صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل
الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد
الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه
لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل
ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو
الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي
معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها
وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه
ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكاة
قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الاية
ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات
والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس
في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من امن واخرج الصابرين
منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن
وقرئ والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء المرض
والزمانة صدقوا كانوا صادقين في الدين عن عمر بن عبد العزيز
والحسن البصري وعطا وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمهم
الله ان الحر يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون
هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في

التورية على اهلها وهي خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد ابن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت عن الحر والعبد والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون يتكافؤ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان من حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطايفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعوله الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل لفلان عما جنى كما تقول عفوت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة

وله

مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله تعالى على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتعدى ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وايل وكان يقتل بالمقتول

عن قاتله نسورا الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما جاء الاسلام بشرع
القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة
الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل
لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من
القتل وسلم وهو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين
وقرا ابو الجوزا ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل
والقصاص وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة للقلوب
كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريكم
ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون
تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو
خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت اذا
دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها
ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت
ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال
ثلاثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك
خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه
ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر
فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله
فمن بدله بعدما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت
باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالتواتر وان كان من الاحاد لانهم
لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث
يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث
ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى

يوصيكم

يوصيكم الله في اولادكم او لتنب على المحتضرات يوصي للوالدين والاقربين
بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم والا ينقص من انصبائهم بالمعروف
بالعدل وهو الا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الايصاء عن وجهه ان كان موا فقا
للشرع من الاوصياء والشهود بعدما سمعه وتحققه فانما اثمه على
الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون
غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله سميع عليم
وعيد للمبدل فمن خاف من موص توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون
اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم
جنفا ميلا عن الحق بالخطا في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم
بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا
اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الحق ذكر من يبدل بالبا طل
ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من
قبلكم على الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه
اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من
افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها
وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي فان الصائم اظلف
لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان
الصوم وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم
وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل
الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين
يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعا يشهم
فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته
وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول
الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب

عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان تصلوا العشا وبعد ان تناموا ثم نسخ ذلك
بقوله احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم
او قلايل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد
ويحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام
كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه
عدة وقرى بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل
مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح
للافطار فمن قايل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا
دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين
انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسيل مالك عن
الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه
فقال انه في سعة من الافطار وقايل هو المرض الذي يعسر معه الصوم
ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رضي الله عنه
لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضا فعامة
العلما على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص
لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضايه ان شئت فواصل وان شئت
ففرق وعن علي رضي الله عنه وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات عن
متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف
قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودة
قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة
مكانها علم انه لا يوتر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا
فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق
وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه
فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه

تفعيل

تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه
ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه قوله
بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو
بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو
معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم
الشيوخ والعجايز وحكم هولاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه
ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا بمعنى يطيقونه اي يصومونه
جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم **فمن تطوع خيرا** فزاد على مقدار الفدية
فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرى من يطوع بمعنى يتطوع **وان**
تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم على انفسكم وجهدتم طا قتكم
خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض
والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض
اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف
والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير
لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت
الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر
الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه ينتقهم اي يزعجهم اضجا را
بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر
فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه
جميعا فما وجه ما جا في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام
رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من
باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيى النطاسي حذيما اراد ابن حذيم
وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القران او على انه بدل من الصيام

[illegible]

في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدء محذوف وقرئ بالنصب
على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات اي انزل فيه وكان
ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض
نجوما وقيل انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام كما
تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت
صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين
والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين **هدى للناس وبينات**
نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات
مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت الحق
ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس **قلت** ذكر اولا
انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق
والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير
مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك
الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم
والمسافر كلاهما شاهدان للشهر **يريد الله** ان ييسر عليكم ولا يعسر عليكم
وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها
من جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس
من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة
وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما
سبق تقديره **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون** شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر
وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر
فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية
القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير

وهذا

وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب
المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه
مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى لعلكم
تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت
هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا
ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر
ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول
اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو
تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال **فاني قريب** تمثيل
لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال
من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان
اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت **فليستجيبوا لي** اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا
دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل
اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة او يرقد
فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة
ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما اغتسل اخذ
يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر
الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام
ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقال رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد
العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد
الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث
الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان
تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان

ماكان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن
الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كنى عنه هنا بلفظ
الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما
تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان
تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد
منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى
لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل
واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال
الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت
ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال
وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم
عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون
انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة
كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما
ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت
في اللوح المحفوظ من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها
ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل
لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم
يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة
بعد الحظر وقرا ابن عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه
واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها
وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر
المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من
غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود كما قال ابو دواد فلما اضاءت
لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض

واكتفى

واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز
ان تكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب
الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب
الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها
فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة
التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط
المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم
ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج عن
ان يكون استعارة فان قلت كيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا
البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسا دي
فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما
اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك
لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل
قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني
بعض البدويات ٭ لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله ٭
٭ اخص من حسب القراريط شاربه ٭ فان قلت فما تقول فيما روي
عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال
اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود
فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزلت بعد ذلك من الفجر فعلموا
انه انما يعني بذلك من الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه
العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه
قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مراده قلت
اما من لا يجوز تاخير البيان وهو اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب
ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول

ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب والعزم على
فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل والاية دليل
على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر
وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم
من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالان باشروهن
وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك
اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر
امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان
الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص بمسجد دون مسجد وقيل
لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع
والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي
ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت
كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود
الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في
حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في
ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيز الحق والباطل لئلا
يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان
يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى
الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان
حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا
لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا ياكل بعضكم مال بعض
بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا
امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال
الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم

بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين
انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن
منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي
لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه
وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى الحكام على وجه الرشوة وتدلوا
مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق
وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها
اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط
ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتا جرهم
ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد
حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار
اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب
فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او
يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء
فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما
حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل
لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها او تمامها معلوم
ان كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده
فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر
في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما
ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا مثلا
لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من

ظهره والمعنى ليس البر ما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم
ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت
من أبوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها
ولا تعكسوا او المراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان
جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك
في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام لمقارفة الشك لا
يسال عما يفعل وهم يسئلون ثم المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلا
كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال
دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله المشركين كافة وعن
الربيع ابن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم
القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان
والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون
لقتالهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون
رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة
ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون الا يفي لهم قريش ويصدونهم
ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم
قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك
ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء
والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجأة
من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف
وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال
فاما تثقفوني فاقتلوني • فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم
اي من مكة وقد فعل رسول الله لمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد
من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه

والبر

[illegible]

من القتل

من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت
جعل الاخراج من الوطن من المحن والفتن التي يتمنى عندها الموت
ومنه قول القائل • لقتل بحد السيف اهون موقعا • على النفس من قتل
بحد فراق • وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم
ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما
يستعظمونه ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم
اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا
تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه
فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن
الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة
اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان
انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين
لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع
على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين
ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان
تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم
قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل
لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة
الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني
تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل
حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه
بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا
تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا

الى ما لا يحل لكم البا في بايديكم مرتبك مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمتق
ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها اخذة بايديكم مالكة لكم وقيل
بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك
فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في
سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه
ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو
الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو
فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم
بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه
وشهدنا معه المشاهد واثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا
الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا
واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك
الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك
واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله
ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة
والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما
على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جا الجوار في الجوار
واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرايطهما
لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف
المطايا على عرفات واقفة الليالي جعل الوقوف عليها تمام مناسك
الحج الذي لتمام الاية وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك
عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد
منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان
تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشي من التجارة
والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت

ما هو الا

الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد
يومر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر
بادايهما بدليل قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في
اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله تعالى
فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على
نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل
الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه صلى الله عليه وسلم الحج جهاد
والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس انه قال العمرة
لقرينة الحج وعن عمر ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين
علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في
الامر بالاتمام فكانت مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن
بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار
ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب
واما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه
بقوله اهللت بهما جميعا واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع ٤
من الصلوة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي
الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك
تامره بفرض وتطوع وقرا علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع
كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم
يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى
الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون
تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو
عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب
هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شي مثل صده واصده وكذا لك
قال الفرا وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمه الله

خصار
كل تمنع عنده من عدو وكان او مرض او غيرهما معتبرا في اثبات حكم الا
وعند مالك والشافعي رحمهما الله منع العدو وحده وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر
من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب
واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ
من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطي ومطية يعني فان منعتم من
المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل
ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ينحر
هدي المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة
يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة وان كان معتمرا فبالحرم
في كل وقت عندهم جميعا وعندهما في ايام النحر ما استيسر رفع بالابتداء
فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم
الخطاب للمحصرين اي ولا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه
الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت
وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة فان قلت
فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره
طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية
هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به
مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل والجراحة
فعليه اذا احلق ففدية من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة عن كعب بن عجرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق راسك وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة
وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه
فقال

فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر
وقيل جمع نسيكة وقرا الحسن من نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار
يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة
الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله
قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة
ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي
المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رحمه الله ويأكل منه وعند الشافعي
رضي الله عنه يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر
عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام
ثلاثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة
واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم
يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزيه
الا الدم عندنا وعند الشافعي رضي الله عنه لا يصام الا بعد الاحرام
بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا نفرتم وفرغتم
من افعال الحج عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رضي الله عنه
هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا
على محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة
في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا
او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة
الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من
جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة
تأكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص
من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك
بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي

قراءة اي فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند
ابي حنيفة رحمه الله واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم جناية لا ياكل منه واما
القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند
الشافعي رضي الله عنه اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي
او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد اهل المواقيت
فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعند الشافعي رحمهما الله اهل الحرم
ومن كان من اهل الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة واتقوا الله
في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا
لكم في التقوى الحج اشهر اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر
المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة
رحمه الله وعند الشافعي رضي الله عنه تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر
وعند مالك رحمه الله ذو الحجة كله فان قلت فما فائدة توقيت
الحج قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا
ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة رحمهما الله ينعقد
الا انه مكروه فان قلت لم كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت
اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة
اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا
وعلى عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة
منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير
قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها
مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم
عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت

المحرم

المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا العلة في مذهب
عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات
عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع على خلاف ما عرفوه وانما قرر
له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي
وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي رحمهما الله بالنية فلا رفث
فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حد
الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء
مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب
الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ
المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين
بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل
فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال
كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة
وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت
واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف
في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال
بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته
امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على
الخير عقيب النهي عن الشر وان تستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن
ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم
ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا
زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل

اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا
فيكونون كلّاً على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام
وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي
يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالبا
فكانه لا لب له فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة
وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا
عن البيع والشرا فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج
ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنه
وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت
معايشهم منها فلما جا الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح
لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم
نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح
فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون
التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن
عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا افضتم دفعتم
بكثرة وهو من افاضة الما وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك
ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي
بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه وقبلنا فاصبوا
في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات
فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث
قلت لا يخلوا التانيث اما ان يكون بالتا التي في لفظها وانما بتا مقدرة
كما في سعاد التي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المونث ولا يصح تقدير التا فيها لان هذه التا لاختصاصها
بجمع المونث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تا التانيث في بنت لان التا

التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث كتا التانيث فابت تقديرها
وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها
عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال
قد عرفت وقيل التقى فيها ادم وحوى فتعارفا وقيل لان الناس يتعا
رفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسما المرتجلة لان عرفة
لا تعرف في اسما الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب
الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه
وسلم الحج عرفة من ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية
والتهليل والتكبير والثنا والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشا
والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة
وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر
وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام
قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها
موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر
ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر الى الناس ليلة جمع
فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة
وجمعا لان ادم اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا منها وعن
قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل
اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم
ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية
حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من

من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه
وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة اي بين
بينها وبين ان بمعنى النفي كقوله تعالى ان الحكم الا لله الحمس قريش ومن دان
بدينهم الواحد احمس وسموا بذلك لانهم تحمسوا في دينهم اي تشددوا وكانوا
لا يستظلون ايام منى ولا يدخلون البيوت من ابوابها ولا يخرجون ايام
الموسم الى عرفات وانما يقفون بالمزدلفة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم
من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس
من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف
وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر
الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك
احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان
الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر
عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين
وان احديهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس
وهو الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث
افاض الناسي بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا
عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم
فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم
فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون
في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين
المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم
او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم
كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب
عطف على آبائكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور

فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين
مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين
فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا
خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب
او ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا حسنة
ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في
الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في
الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء
اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من
جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة
او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطاياهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا
به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم
في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب
بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق
نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة
ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه
بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال
قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة
وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة الايام المعدودات
ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار
وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى
يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل
النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل
ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله تعالى
ومن تأخر كما هي كذلك في قوله تذبذب المتأني بعض حاجته وقد يكون

من المستعجل الرالحل الثاني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو
اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الروس واليوم بعده ينفر اذا فرغ
من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه
ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ينفر قبل طلوع
الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث
يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان
قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا قلت دلالة
على ان التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا فان قلت
اليس التاخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل
كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل
الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل المتاخر اثما
فورد القران بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم
عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شي منهما فيحسب
ان احدهما يرهق صاحبه اثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز
عن كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله
ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن
اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون
وجه الله من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشي
العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق
اذا لقي رسول الله الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال
يعلم الله تعالى اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي
السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله تعالى في الحيوة
الدنيا قلت بالقول اي يعجبك قوله في معنى الدنيا لان ادعاه المحبة بالباطل
يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما تراد بالايمان الحقيقي
والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامه اذن في الدنيا لا في

الاخرة

من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك
ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلا او لما دل عليه من ذا
من الملائكة والانبيا من علمه من معلوماته الا بما شا الا بما علم
الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع
كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض
لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي
ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور
قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى
قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا
تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه
الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي
العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شي
وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه
حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك
والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف
قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه
والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب
بين العصا ولحايها هذا مثل يضرب لمن يدخل بين شيين لا يليق به
وعليه قول من قال . سقيا لها ولحسنها ولمنها . ايام لم يلج النوى
بين العصا ولحايها . فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا
عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبريا شانه
والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة

وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها
او لجلاله وعظم قدرته فان قلت لم فضلت هذه الاية حتى ورد
فى فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قربت هذه فى دار الا
اهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين
ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها
وعن على رضى الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من
قرا اية الكرسى فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت
ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه
الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل
ما فى القران فقال لهم على اين انتم عن اية الكرسى ثم قال قال لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا
فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد
الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد
القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسى قلت لما فضلت له سورة
الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى
ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان هو افضل من سائر
الاذكار ولهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم
اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك كثرة اعدائه فان العرانين له

ان العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا

لا اكراه فى الدين اى لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر
ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لامن من فى الارض
كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين اى لو شاء لقسرهم
على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد
من الغى قد تميز الايمان من الكفر بالدلايل الواضحة فمن يكفر بالطا
غوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك

بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اى
انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده
والتيقن به وقيل هو اخبار فى معنى النهى اى لا تكرهوا فى الدين ثم
قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وقيل هو فى اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء
الجزية وروى انه كان لانصارى من بنى سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل
ان يبعث رسول الله ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى
يا رسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولى الذين
امنوا اى ارادوا ان يومنوا تلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من
الكفر الى الايمان والذين كفروا اى صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك
او الله ولى المومنين يخرجهم من الشبه فى الدين ان وقعت لهم بما يهديهم
ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا
اولياؤهم الشياطين يخرجونهم اى يخرجونهم من نور البينات التى تظهر
لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر تعجيب من محاجة نمرود فى الله
وكفره به ان اتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان
اتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج
لذلك او على انه وضع المحاجة فى ربه اتاه الله الملك موضع ما وجب عليه
من الشكر على ان اتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عادانى
فلان لانى احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالات لاجل
الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثانى حاج
وقت ان اتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يوتى الله الملك الكافر
قلت فيه قولان اتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع
واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال

نصب بخاطر او بدل من ان اماه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي وامت
يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض عنيدا ولكن ابرهيم عليه
السلام لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر
فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال
للمجادل من حجة الى حجه وقرى فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر
وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر
الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي
تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي معناه او ارايت
مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان
يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت الذي حاج ابرهيم او كالذي
مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود
في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد
ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم وقوله انى يحيي
اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية
بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف
وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء على
الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال
او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا
فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء
اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء
او واو وذلك ان الشي يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من
الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة لنقضي البازي ويجوز ان يكون معنى
لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم
يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن

وقرا

وقرا ابي لم يتسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف
تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر
اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام
من غير علف ولا ما كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك اية للناس
فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه
راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها
هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن
الله ولم يقرا التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه اية وقيل
رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا احدثهم بحديث قالوا
حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين
تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرا الحسن كيف ننشرها
من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرا بالزاي بمعنى نحركها ونرفع
بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه
يعني امر احياء الموتى وقرا ابن عباس فلما تبين على البناء للمفعول وقرى
قال اعلم على لفظ الامر وقرا عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان الا
كما قرا كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ
ذاك كافرا الى تصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه
اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة
للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي ومعناه بلى امنت ولكن ليطمئن قلبي
ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر
الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال
يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب
العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن

قلت محذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمانينة القلب **فخذ**
اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك
بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف
الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت
قنوان الكروم الدوالي وقرا ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها
وتشديد الرا من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره
وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا **ثم اجعل على كل جبل منهن**
جزؤا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل
من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي
سبعة **ثم ادعهن** وقل لهن تعالين باذن الله **ياتينك سعيا** ساعيات
مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها
الى نفسه بعد ان ياخذها **قلت** ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها
وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحيا ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك
قال ياتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماها ولحومها وان يمسك رؤسها
ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح
بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا
بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف
اجرا للوصل مجرى الوقف **مثل الذين ينفقون** لا بد من حذف مضاف
اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن
الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء
ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة
سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر
فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود

في

في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية
المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض
والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع
القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله
تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها **والله**
يضاعف لمن يشا اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشا لا لكل منفق
لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها
لمن يستوجب ذلك ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه
واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم
• وان امرا اسدى الي صنيعة • وذكرنيها مرة للئيم •
وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن • ومنع نائله وضن • وفيها
طعم الالا احلى من المن وهو امر من الالاء مع المن **والاذى** ان يتطاول
عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك
المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان
خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله
لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا
معنى الشرط وضمنه ثمه والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها
دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة **قول**
معروف رد جميل **ومغفرة** وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل
على المسؤل او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة
السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره **خير من صدقة يتبعها اذى** وصح
الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصها بالصفة **والله غني** لا حاجة
به الى منفق يمن ويؤذي **حليم** عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه
ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما يتبعه **كالذي ينفق ماله** اي لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله **رئاء الناس**

لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله
ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب وقرأ
سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم
القطر فتركه صلدا أجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد
جبين الأصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه
هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا
تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون
بعد قوله كالذي ينفق قلت أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي
ينفق ولأن من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق وتثبيتا من انفسهم
وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس
على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان لأن النفس اذا ريضت بالتحامل
عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها
في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الإيمان
واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل
أنفسهم لأنه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب
من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن على التفسير الأول للتبعيض
مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية
كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم
عند المؤمنين انها صادقة الإيمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد
وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل
ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو
الذي ثبتها كلها كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى
ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان
مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا أصابها وابل مطر عظيم
القطر فآتت أكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فإن لم

يصبها

[illegible]

يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم
عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل
وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت
أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند
الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات
الثلاث وأكلها بضمتين الهمزة في أيود للإنكار وقرئ له جنات ذرية
ضعاف والإعصار الريح التي تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء
كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان
يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة
من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة
معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سأل
عنها الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال
ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك
قال ضرب مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث
الله الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل
والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر
ما كان الى جنته وان أحدكم والله أفقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه
الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل
الثمرات قلت النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما
بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على
غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت
تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما
بنخل فان قلت على م عطف قوله وأصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف
ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت أن يكون
كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت جنة وأصابه الكبر

من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب
والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا
على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض
قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات
ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه
بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تاموا وقرا ابن عباس
ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتاممه سوا في معنى قصده ولستم
باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا
بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن حقه
اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال
الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض
وقرا الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم
وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرا قتادة تغمضوا على البناء للمفعول
بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين
وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه يعدكم
الفقر اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان
تفتقروا وقرى الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في
الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويامركم بالفحشا
ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغرا الامر للمامور والفاحش عند
العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها
وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه في الاخرة
يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل
وقرى ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرا الاعمش
خيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا

الالباب

الالباب يريد الحكما العلما العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت
الاي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل
الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه
لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات
او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي
من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه فنعما هي ما نكرة غير موصولة
ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرى بكسر النون وفتحها
وان تخفوها وتؤتوها الفقرا وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفا
فهو خير لكم فالاخفا خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الا
فضل في الفرايض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات
السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرايض
افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان افضل
والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر قرى بالنون
مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفا او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن
نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتداة ومجزوما عطفا على محل الفا وما
بعده لانه جواب الشرط وقرى ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفا
وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرى الحسن بالياء والنصب
باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ليس عليك
هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتها عما نهوا عنه من المن
والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي
فحسب ولكن الله يهدي من يشا يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه
فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم
وما تنفقون وليست نفقتكم الا ابتغا وجه الله ولطلب ما عنده

فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجّه مثله الى الله وما
تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان
ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسما
بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن
سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي
ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود او رضاع وقد كانوا
ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن
بعض العلما لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف
في الواجب فجوز ابو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى اهل
الذمة واباه غيره الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقرا او اجعلوا
ما تنفقون للفقرا كقوله في تسع ايات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
اي صدقاتكم للفقرا الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب قيل
هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن
لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون
القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية
يبعثها رسول الله ثم كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم
وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي
من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم
الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة
تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح
وهو اللزوم ان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه
اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم
المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف

ولم

يلحوا وقيل هو نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدي
بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية
يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم
حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا باوقات ولا احوال
وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين
الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية
وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة
كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الاية الذين ياكلون الربوا كتب بالواو
على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب
يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير
استوا كخبط العشوا فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون
ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله
وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورايتهم لهم في الجن قصص
واخبار وعجايب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت
بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس
الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم
المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين عين
تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من
الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين
لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ض
ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل

انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم
شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل
ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين
قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا
انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه
النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه
موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي
وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم
وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه
به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا
دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولا
نها في معنى الوعظ وقرا ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب
ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر
الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب
ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا
وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من
الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها
نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال
والربوا وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء
ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة
ما في حكمه حيف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان
وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن به
بالشيء اذا علم به وقرى فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الا

سماع

ستماع لانه من طرق العلم وقرى الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة
العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا
ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله
وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان
تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة زه
عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا
فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى
المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع
غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه ذا
عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرا ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم
او فالامر نظرة وهي الانظار وقرى فنظره بسكون الظاء وقرا عطاء
فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريق
النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو بقل وذو عشب وعنه
فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار وقرى
بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرى بهما مضافين
بحذف التاء عند الاضافة كقوله ان الخليط اجدوا البين فانجردوا والخليط
الجماعة والبين الفراق واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى
واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموا لهم
على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل
اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا
به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرى تصدقوا بتخفيف
الصاد على حذف التاء ترجعون قرى على البناء للفاعل والمفعول وقرى
يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون ون
وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين

والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما
وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات اذا تداينتم
اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا
او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى
والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم
بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي
حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت
ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال
فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل
وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون
معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس
او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك
اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس
ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان
الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية
بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب بالسوية
والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب
فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع بالسوية والاحتياط
لا يزيد على ما يجب ان يكتب للمتداينين بتخير الكاتب والا يستكتبوا الا فقيها
دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان
يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير
وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته
كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان
يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت
ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له

فليكتب

فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته
بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق
ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب
عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملاء
والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه
من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيّا بالتشديد
سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او
شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها
او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه
وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي
يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان
على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام
عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء
وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة وتجوز عند ابي
حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا
فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان
وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود و
والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما الا
تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له
وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها
مراد الله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه
وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما
كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل
ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة

ان يميل الحايط فادعمه واعددت السلاح ان يجي عدو فادفعه وقرى
فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرى ان تضل احديهما
على البنا للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احديهما
الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا ياب الشهدا
اذا ما دعوا ليقيموا الشهاده وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهدا قبل
التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكاين وعن قتادة كان الرجل يطوف
في الحوا العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كني بالسام عن
الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المومن كسلت
ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير
او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا
او كبيرا على اي حال كان الحق من صغير او كبير ويجوز ان يكون الضمير للكتاب
وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي
اتفق فيه الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى
المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهاده واعون
على اقامة الشهادة وادنى الا ترتابوا واقرب من انتفا الريب فان قلت
مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه
ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون من اقسط من قاسط على طريقة
النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقري ولا يساموا ان يكتبوه
بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسوا كانت المبايعة بدين
او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما
يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى
الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم
فيه ما يتوهم في التداين وقري تجارة حاضرة بالرفع على كان التامه وقيل
هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على
الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون

بلانا

بلانا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا
اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط
وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا
تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون
الكتابة وعن الحسن ان شا اشهد وان شا لم يشهد وعن الضحاك هي
عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البنا للفاعل والمفعول
والدليل عليه قراة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر
وقراة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب
والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة
والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا ولا يعطى الكاتب
حقه من الجعل او يحمل الشهيد مونة مجيه من بلد وقرا الحسن ولا يضار
بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان
تفعلوا شيا مما نهيتم عنه وان كنتم على سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابي
كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة
وقرا ابو العاليه كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق
به رهن وقري بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان
فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز
الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والا
شهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما
لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد من اعتباره
عند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن
بعضكم بعضا فان امن بعض الداينين بعض المديونين لحسن ظنه به
وقرا الحسن ابي فان امن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفا

والاستغنا عن الارتهان من مثله **فليود الذي اوتمن امانته** حث
للمديون على ان يكون عند ظن الداين به وامنه منه وايتمانه له وان
يودي اليه الحق الذي ايتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو
مضمون لايتمانه عليه بترك الارتهان منه وا القراة ان تنطق بهمزة ساكنة
بعد الذال او يا فتقول اي الذي يتمن او الذي ايتمن وعن عاصم
انه قرا الذي ايتمن بادغام اليا في التا قياسا على اتسر في الافتعال من
اليسر وليس بصحيح لان اليا منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي
وكذلك ريّا في رؤيا **اثم** خبر ان وقلبه رفع باثم على الفاعلية كانه
قيل فانه اثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتدا واثم خبر مقدم
والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه اثم وما فايدة ذكر
القلب والجملة هي الاثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو
ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد
الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد
هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب
هو ريس الاعضا والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت
فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك
اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة
باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه
واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال ساير
الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات
والسيات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان
الشهادة من اثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن
ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكباير الاشراك بالله لقوله تعالى فقد
حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرى قلبه بالفتح
كقوله سفه نفسه وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله اثما **وان تبدوا**

بما

ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء **يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشا**
لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه واضمر **ويعذب من يشا**
من استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس
وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده
وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لين اخذنا الله بهذا
لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي
عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرى
فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو
يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرا الجازم قلت بظهر الرا وادغام الرا
ومدغم الرا في اللام لاحن مخطي خطا فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطي
مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يوذن بجهل عظيم
والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواه والسبب في قلة الضبط
قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر بغير فا
مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد
حطبا جزلا ونارا تاججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان
التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل
الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحب زيدا عقله وهذا
البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسما لحاجة القبيلين الى البيان
والمومنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نايب
عنه في كل راجعا الى الرسول والمومنين اي كلهم امن بالله وملايكته
وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدا كان الضمير
للمومنين ووحد ضمير كل في امن على معنى كل واحد منهم امن وكان يجوز ان
يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القران
والجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر
من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قايمة في وحدان

امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون

الجنس كلما لم يخرج منه شي واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية
من الجموع اي ولا يدخل افراد الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي
عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون بين احد
من رسله واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال
غفرانك لا كفرانك اي نستغفر ولا نكفرك وقرى وكتبه ورسله
بالسكون لا يكلف الله نفسا الا وسعها الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون
مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد
الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس
ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها
ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان
قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال
فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله
اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير
وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطا
ان فرطنا فان قلت النسيان والخطا متجاوز عنهما فما معنى الدعاء
بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر الخطاء والنسيان والمراد بهما ما هما
مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا
الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته
سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته
فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعا
بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان
والخطا مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطا

والنسيان

والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من
فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبؤ الذي
يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف
الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير
ذلك وقرى آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت
اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة
في حمل عليه وتلك النقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن
التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات
على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع ع
من التكاليف وهذا تكرير لقوله لا تحمل علينا اصرا انت مولانا سيدنا ونحن
عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده
او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند
كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرا الايتين من اخر سورة البقرة
في ليلة كفتاه اي كفتاه عن قيام الليل والتهجد وعنه عليه السلام اوتيت
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه عليه السلام
انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي
سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل فان قلت
هل يجوز ان يقال قرات سورة البقرة او قرات البقرة قلت لا باس بذلك
وقد جاء في حديث النبي عليه السلام من اخر سورة البقرة وخواتيم سورة
البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن
عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره
رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة
الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة فاذا قيل قرات البقرة لم يشكل ان المراد د

ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا

سورة البقرة كقوله وسل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال
قرات السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها
بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة
تم تفسير سورة البقرة وصلى الله على محمد

سورة آل عمران مدنية وهي مايتا اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدا ما بعدها
كما تقول واحد اثنان وهي قراة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت
عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القا حركتها عليها
وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات
حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة
في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها
لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقا حركة الهمزة على الدال
فان قلت هلا زعمت انها حركت لالتقا الساكنين قلت لان
التقا الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابرهيم
وداود واسحق ولو كان التقا الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك
لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقا الساكنين ولما انتظر ساكن اخر فان
قلت انما لم يحركوا لالتقا الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف
وامكنهم النطق بساكنين فاذا جا ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا
قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا
واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم
ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غيره
وليست لالتقا الساكنين فان قلت فما وجه قراة عمرو بن عبيد رحمه الله
بالكسر قلت هذه القراة على توهم التحريك لالتقا الساكنين وما هي بمقبو

والتوريه والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل
ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الا نجيل
بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان
العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوريه والانجيل
قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا الاعمش نزل
عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم
موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم
فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لانها فرقان
يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر
الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من
هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال واتينا دا ود
زبورا او هو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه
فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا
لفضله بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام
شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شي في العالم فعبر عنه بالسما
والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من امن وهو مجازيهم عليه
كيف يشا من الصور المختلفة المتفاوتة وقرا طاووس تصوركم اي
صوركم لنفسه ولتعبدوه كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي
اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على
من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره
وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات احكمت عبارتها بان حفظت
من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام
الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال
ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشا امرنا مترفيها
فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس

به لسهولة مأخذه ولا عرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل
من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا
يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلما
واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوايد الجليلة
والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المومن المعتقد ان لا
مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره
واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجعه
نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة
الى معتقده وقوة في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون
ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما
لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغا الفتنة طلب
ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغا تاويله وطلب ان ياولوه
التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم
اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين
رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم
من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون ويفسر
المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من اياته كعدد الزبانية
ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال
الراسخين بمعنى هولاء العالمون بالتاويل يقولون امنا به اي بالمتشابه
كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه
ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما
يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقا الذهن وحسن التامل ٥
ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا
عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ

فيها

و مع المرحوم الشيخ عبد المعالي سوواق الرباني

فك

فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطا
بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق
والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتا والياء ورفع القلوب جامع
الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم
ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد
معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب
سائله والميعاد الموعد قرا علي رضي الله عنه لن يغني بسكون اليا
وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من الله شيا
في قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيا والمعنى لن
تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيا اي بدل رحمته وطاعته
وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه
من الدنيا بذلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه
قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ
وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الداب
مصدر دات في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان
من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هولاء الكفرة
كداب من قبلهم من ال فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف
بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد
بهم النار كما توقد بهم كما تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك
تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب ابيه تريد
كما حورف ابوه كذبوا باياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا او فعل بهم على انه
جواب سوال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى عليه السلام

ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله

وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما
كان يوم احد نكلوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا
مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم
اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم
بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت
وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت
اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر
بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار
بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي
يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به
من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو
قولي لك سيغلبون ويحشرون **قد كان لكم آية** الخطاب لمشركي مكة
في فئتين التقتا يوم بدر **ترونهم مثليهم** يرى المشركون المسلمين
مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا
وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن
قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل
عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي
فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة
الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا
عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير
في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم
تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى

المسلمون

المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة
الواحد الاثنين في قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
بعدما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل
بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع
لا تساعد عليه وقرئ يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي
يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل
من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا
رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعا ينات
والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو **زين للناس**
المزين الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطا ن
والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها **حب الشهوات**
جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على
الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة
مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية
وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في
النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجنا س
فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح
طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير وقيل ملء مسك ثور
وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء بمكة مائة
رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف
مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة
او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية **ذلك** المذكور
متاع الحيوة للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة

على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي
رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق الكلام بخير واختص
المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وينصره
قراءة من قرا جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد بالذين
يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا باحوالهم فلذلك
اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز
الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات في
قوله الصابرين والصادقين للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد
مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل
فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر
اخذوا في الدعا والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شبهت
دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره
وبما اوحى من اياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص واية
الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار
الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل
فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده
من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه
حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده
بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو
راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت
جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت
اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله
الحميد انا معشر الانبيا لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب قلت

قد جا

الفضل

قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول

ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي

فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط
الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب
حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال
المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل
فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على
المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة
واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو
او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة
واولوا العلم ان الله لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرا عبد الله القائم
بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو
حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مفردتان كما وصف
به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله
اخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد
باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة
في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته
وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل
والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على
انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستانفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد
قلت فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل بل
فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو

هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده
في شي من الدين وفيه ان من ذهب الى التشبيه او ما يودي اليه كاجازه
الرويه او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله
الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على
ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا
لان دين الله هو العدل والتوحيد وقرئ الاول بالكسر والثاني
بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض موكد وهذا ايضا
شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القران كلها
متعاضدة على ذلك وقرا عبد الله ان لا اله الا هو وقرا ابي ان الدين
عند الله للاسلام وهي مقويه لقراة من فتح الاولى وكسر الثانيه وقرئ
شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم
شهداء الله فان قلت علام عطف على هذه القراة والملائكة واولوا
العلم قلت على الضمير في شهدا وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت
لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزه ثم ذكرنا ثانيا بعد ما قرن باثباته
الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال
لا اله الا هو الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم
لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب
اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو
التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه
فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان
تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا
تجويز لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهرهم لا بمذهب
وهو لا بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا

واستنباء

واستنباء كل فريق ناسا بطاون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل
هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث امن به بعض وكفر
به بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبيا فمنهم من امن بموسى ومنهم
من امن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين
احتضر استودع التوريه سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امنا
عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابنا السبعين
بعد ما جاءهم علم التوريه بغيا بينهم وتحاسدا على حظوط الدنيا والر ياسه
وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه
عبد الله ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت
وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره
شريكا بان اعبده وادعوه الهامعه يعني ان ديني دين التوحيد وهو
الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جيت
بشي بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة
بان ما هو عليه ومن معه من المومنين هو حق اليقين الذي لا لبس
فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التا في اسلمت وحسن
للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل
للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين
لا كتاب لهم من مشركي العرب اسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات
ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد
على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسالة ولم تبق من طرق
البيان والكشف طريقا الا كشفته هل فهمتها لا ام لك ومنه قوله
عز وجل فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي
هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان
المنصف اذا انجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد

بحلي اللحية ما يضرب اسدا او ابينه وبين الادعان وكذلك في هل
فهمتما توبيخ بالبلادة وكلمة القريحة وفي فهل اسم منتهون بالتقاعد
عن الاتيان والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد
اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن
الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك
الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرا الحسن يقتلون
النبيين وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا
وقرا ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب
قتل اولهم الانبيا وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول
قتل رسول الله والمومنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال
رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا
عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في
ساعة واحدة فقام مائة واثنى عشر رجلا من عباد بني اسرايل فامروا
قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في
الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة
فان قلت لم دخلت الفا في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزا كانه
قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى
الابتدا فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع
ادخال الفا لتغير معنى الابتدا اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار
اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوريه ومن اما للتبعيض واما
للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التوريه وهي نصيب
عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التوريه ليحكم بينهم وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث
بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال

هم

لهما ان بيننا وبينكم التوريه فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم
وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتاده كتاب الله القران لانهم
قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون
وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقري ليحكم على البنا للمفعول
والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبار هم
وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في
صحته وهي التوريه ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم
وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا
واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والاعراض بسبب
تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلايل
كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان
اباهم الانبيا يشفعون لهم كما غرت اوليك شفاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كبايرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف تصنعون فكيف
تكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما
لا حيلة في دفعه والخلاص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها
تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف
من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على روس الاشهاد ثم يامر بهم الى
النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس
كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي الميم في اللهم عوض من يا ولذلك
لا يجتمعان وهذا بعض خصايص هذا الاسم كما اختص بالتا في القسم وبدخول
حرف الندا عليه وفيه حرف التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك
مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون ن
توتي الملك من تشا تعطي من تشا النصيب الذي قسمت له واقتضته
حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشا النصيب الذي اعطيته منه فالملك

الاول عام شامل والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم
فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم
وهم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق
عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من
بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف
بيت مظلم وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها
انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء
واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر
من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت
كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما
وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال
بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله
من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك
ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة
بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه
بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة
للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على
ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب
انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني

جعلتهم

جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا
تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله
عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم ۞ نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة
بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق
بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القران ومن يتولهم منكم فانه منهم لا
تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر الاية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول
الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة
عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من
الله في شيء ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم
الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان
موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوي ثم تزعم انني ۰ صديقك ليس النوك عنك بعازب

الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه
وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه
رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة
ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال
المانع من قشر العصا كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا
ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا
وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى
بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته
ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما
لا يرضي الله يعلمه ولم يخف عليه شيء وهو الذي يعلم ما في السموات وما
في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على
كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه

لان نفسه وهي ذاته المتميزة من ساير الذوات متصفه بعلم ذاتي لا يختص
بمعلوم دون معلوم فهي متعلقه بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية
لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان
حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك
مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان
انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه
عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ لامره
واتقى كلما يتوقع فيه الاسترابه به فما بال من علم ان العالم الذات الذي
يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو امن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا
بسترك **يوم تجد** منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم
القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبينه
ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر
نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتدا وتود
خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح
ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على
قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء
والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكاين في ذلك اليوم واثبت لموافقة
قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا
اي تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا
كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرونه ونحوه
فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت
بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون
على بال منهم لا يغفلون عنه **والله رؤف بالعباد** يعني ان تحذيره نفسه
وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرافة العظيمة بالعباد لانهم
اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب

يحذر

يحطه وعن الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان
يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته
كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد لله مجاز
عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها
ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين
لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته
يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل
فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا
رايت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر
ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما
تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة
صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق
وطرب ونعر وطغى على تصورها وربما رايت المني قد ملا ازار ذلك
المحب عند صعقته وحمقا العامة حواليه قد ملوا اردانهم بالدموع
لما رققهم من حاله وفرى يحبون ويحبكم من حبه تحبه قال
احب ابا مروان من حب تمره واعلم ان الرفق بالجار ارفق ووالله
لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق **فان تولوا** يحتمل
ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة
ما يقول الرسول لهم ال ابراهيم اسماعيل واسحق واولادهما وال عمران
موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان
وبين العمرانين الف وثمان مائة سنة وذرية بدل من ال ابرهيم وال عمران
بعضها من بعض يعني ان الالين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب
من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث
وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى

ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين

بن مريم بنت عمران بن ماثان وبين ماثان وسليمان قوم لم يذكرهم وكذلك
بين ايشا ويهوذا ام سليمان بن داود بن ايشا بن يهوذا وهو ابن ابرهيم
من يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل بعضها من بعض في الدين لقوله المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفا او يعلم ان بعضهم من
بعض في الدين او سميع عليم لقول امراة عمران ونيتها واذ منصوب به
وقيل باضمار اذكر وامراة عمران هي امراة عمران بن ماثان ام مريم البتول
جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت
امراة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران
بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا
في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى
وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو
ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت
كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن ادن
وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت
مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة وروي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت
فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد
وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه
ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي
انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان
لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان
وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها
الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله

او على

او على تأويل الحبلة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب
انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى
قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال
وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث
الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة
او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى
فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول
قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها
فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك
نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال
الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر
ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق
به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة
بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم
بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب
وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله
فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت
فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت
من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف
قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما
جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت
لم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة
فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها
مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب

الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه
ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا
معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير
لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه
من التخييل قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون
بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل
الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا
وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان
الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما
يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه
لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان
تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة وروي
ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت
لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت امامهم وصاحب
قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم
زكريا انا احق بها عندي اختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا
وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق
الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف
المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو
الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى
استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا

اخذه

اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه
وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها
في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز
عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ
وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا
والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
ويؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله تعالى اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها
ربها وانبتها واكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها
تدعوين لك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل
بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم
وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع
من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه
كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب
وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا
قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في
الصيف انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل
به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة
كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن
قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها
فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء
خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله
عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة
نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب

وَالحسن وَالحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام
كما هو واوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من يشاء من جملة
كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير
حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل
بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم
في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان
لما راى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من
ايشاع ولد مثل ولد اختها في النجابة والكرامة على الله وان كانت عجوزا
عاقرا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها
تنبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع
سميع الدعاء مجيبه فرى فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما
قال الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على ان
الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرى
يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح اليا من بشره ويحيى
ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى
وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله
مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من امن به وسمي عيسى كلمة لانه
لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب اخر وقيل
مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة
الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف
وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويا لها
من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات
وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح
بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار فاستعير لمن لا يدخل في اللعب
واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال

ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من
اصلاب الانبيا او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة
لمن الصالحين انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت
مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر
في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان
وتسعون كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك
الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله
مبتدا وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي
يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات اية علامة اعرف بها
الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال ايتك الا تقدر على تكلم
الناس ثلثة ايام وانما خص تكلم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه على القدرة
على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله تعالى ولذلك
قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن
تكلم الناس وهي من الايات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام
الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه
على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الاية من
اجله كانه طلب الاية من اجل الشكر قيل له ايتك ان يحبس لسانك
الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال
ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او راس او غيرهما واصله التحرك
يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرا يحيى بن وثاب
الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع
رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني
فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم
الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس الى
ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار

من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار ليس من جنس الكلام بفتح
الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت
الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه قلت لما ادى مؤدى
الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا
لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك
بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قذفك به اليهود
واصطفاك على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن
ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما
من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين يعني ولتكن
صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني
معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها
من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع
مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا
ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي
فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي
استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم
علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي
فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على
سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه
وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ
اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر
مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية اختاروها
للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت
ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل

التكفل

يلقونها

يلقونها ينظرون اليهم ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح
لقب من الالقاب المشرفة كالصديق واصله مشيحا بالعبرانية
ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى
معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت
اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز
ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في
زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى بن
مريم والخطاب لمريم قلت لان الانبياء ينسبون الى الاباء لا الى الامهات ت
فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك لك
فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة
قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم
وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة
قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي
يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة
وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا فا
بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة
وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة
والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب
على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه
يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال
الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء
ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ونعلمه
عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم
ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام يحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات

المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي باي حمله عليهما قلت
هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت
على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت
رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق
فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق
ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله
ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب
بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ
اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيا مثل صورة الطير فانفخ
فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا
فيصير طيرا كساير الطيور حيا طيارا وقرا عبد الله فانفخها قال
كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد
اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير
قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع
عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى
وما كانت مداواته الا بالدعا وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم
من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون
فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي
لك كذا تدخرون بالذال والدال والتخفيف ولاحل لكم رد على قوله باية من ربكم
اي جئتكم باية ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي
جئتكم باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثرب
ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم
من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ
حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التورية او الله عز وجل
او موسى صلوات الله عليه لان ذكر التورية دل عليه ولانه كان معلوما

عندهم

عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على
صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على
هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من اية وقوله
فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول
اية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه
رسول كساير الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال
ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى
مما ذكرت لكم من خلق الطير والابرا والاحيا والانبا بالخفيات
وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن ساير ذلك
وقرا عبد الله وجئتكم بايات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات
واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال ان الله ربي وربكم ومعنى من
فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا
ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض
فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس
والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين
يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا
من اليا اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجيا اليه نحن انصار الله
اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه
قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال
فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح — واعتذروا ابانا بالحور
وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلا مهم
تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم مع
الشاهدين مع الانبيا الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون
بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهدا على الناس
ومكروا الواو لكفار بني اسرايل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم

وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السما والقى
شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقوام
مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر
المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله انى متوفيك
اى مستوفى اجلك ومعناه انى عاصمك من ان يقتلك الكفار
ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك
الى الى سماى ومقر ملايكتى ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى
على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك فى وقتك بعد النزول
من السما ورافعك الان وقيل متوفى نفسك بالنوم من قوله والتى
لم تمت فى منامها ورافعك وانت نايم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ
وانت فى السما آمن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
يعلونهم بالحجة وفى اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم
المسلمون لانهم متبعوه فى اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون
الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير
الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وفى فيوفيهم بالنا ذلك
اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه ومن
الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون ذلك
بمعنى الذى ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك
بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القران وصف بصفة من هو من سببه
او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شان عيسى وحاله
الغريبة كشان ادم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى
بادم اى خلق ادم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى
فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد ادم بغير
اب وام قلت هو مثله فى احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دو

بالظرف

بالظرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة فى بعض الا وصار
ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما
فى ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعا دة
من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم
لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلما
انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال
فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل اولى
لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ
الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه
من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اى انشاه بشرا كقوله
ثم انشاناه خلقا اخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا
محذوف اى هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامترا
وجل رسول الله عن ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات
والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه
فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا
هلموا والمراد المجى بالراى والعزم كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة
ندع ابناءنا وابناءكم اى يدع كل منى ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المبا هلة
ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة
بالفتح والضم اللعنة ونبل لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله
اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل
فى كل دعا يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه لما دعاهم الى المباهلة
قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى
مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا
قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولين فعلتم لتهلكن فان ابيتم

الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا
الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد
الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت
فامّنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء
الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى
على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان
لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا
ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة
الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران
ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل
الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى
كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء
الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين
الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى
ضم الابناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه
بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس
اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه
حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت
المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما
فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمه كانوا يسوقون

مع

مع انفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها
بارواحهم حماة الحقايق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف
مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها
وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه
برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد
من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك
من نبأ عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الاصل
وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد
وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره
والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت
اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا
منه واصلها ان تدخل على المبتدا ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة
البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد
على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب
المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود
المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن
والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها
حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا
بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير
رجوع الى ما شرع الله لقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا
يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل

لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق ام صليت بغير القبلة وقرى
كلمة بسكون اللام وقرى الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت
استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
اي لزمتكم الحجة توجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم
كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف
بانى انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب
التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن
الحق بعد ظهوره م زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان
منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية
انما حدثت بعد نزول التوريه والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين
ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم
على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجا
دلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا
وهؤلاء خبره م وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم
هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم
به علم مما نطق به التوريه والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها انتم هؤلاء انتم على
الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم
وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه
وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بري من دينكم وما كان من المشركين كما لم
يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح
ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولا وهو القرب
للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا
من امته وقرى وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي
اتبعوه واتبعوا هذا النبي والجر عطفا على ابراهيم ودت طايفة هم

اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون
الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب
يضاعف لهم لضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال
المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بايات الله بالتورية
والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها ايات الله
او تكفرون بالقران ودلايل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتم
تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بايات الله جميعا وانتم تعلمون
انها حق وقرى تلبسون بالتشديد وقرا يحيى ابن وثاب تلبسون
بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور
وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا وجه النهار اوله قال من كان
مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الا بمان
بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في اخره لعلهم يشكون
في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلماء الا لامر قد
تبين لهم فيرجعون برجوعكم لعلهم يرجعون وقيل تواطا اثنا عشر من
احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار
من غير اعتقاد واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا وربما
علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان
دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة
لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بما انزل
عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا
به في اخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون ولا تومنوا متعلق بقوله ان يوتى احد وما بينهما اعتراض
اي ولا تظهروا ايمانكم بان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون
غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتاب الله

مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا
يزيدهم ثباتاً ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام **أو يحاجوكم
عند ربكم** عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى
الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة
بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة **فإن قلت** فما معنى الاعتراض قلت
معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته
على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن
المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم
على معنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار
إلا لمن تبع دينكم على معنى كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن
رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولأن إسلامهم كان أ
غيظ لهم وقوله أن يؤتى معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك
ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما
أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل
عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير
والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد فإن قلت فما معنى قوله أو يحاجوكم
على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما
يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز أن يكون هدى
الله بدلاً من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله
أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم
ويدحضوا حجتكم وقرئ إن يؤتى أحد على إن النافية وهو متصل بكلام
أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد
مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز
أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن

تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم
وجه النهار إلا لمن تبع دينكم على معنى كانوا تابعين لدينكم ممن
أسلموا منكم لأن رجوعهم كان كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله
فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأن قوله ولا تؤمنوا إلا لمن
تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا عن ابن عباس رضي الله
عنهما من إن تأمنه بقنطار هو عبد الله ابن سلام استودعه رجل
من قريش ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداه إليه ومن إن تأمنه
بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فجحده وخا
وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخا
في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم **إلا ما دمت عليه قائماً**
إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه
بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه وقرئ
يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ
يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت من دام يدام **ذلك** إشارة
إلى ترك الأداء الذي دل عليه لا يؤده أي تركهم أداء الحقوق بسبب
قولهم ليس علينا في الأميين سبيل أي لا يتطرق علينا عتاب وذم
في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم
من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون
ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود
رجالاً من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث
تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية
إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه سأله رجل فقال إنا نصيب في الغزو من أموال
أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا

في ذلك بأس قال هذا اجماع ان اهل الكتاب ليس علينا في الاميين
سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون
انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي عليهم
سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي
سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى اوفى على ان كل من وفى
بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان قلت فهذا
عام يحتمل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة
الله قلت اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود وفوا اولا بالعهد الاعظم وهو ما
اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله
في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع
الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله
يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه
من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من
قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل
الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان
بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن
به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك
وقيل نزلت في ابي رافع وكنانة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا
التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت
جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل
تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم
فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا
فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت

الذي

الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت
بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال
من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان
وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه
والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع
الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط
عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه
ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز
عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية
لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار
عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم الاصل في الشاهد
اذا احسن لاحد نظر اليه فصار النظر من لوازم الاحسان فاطلاقه
عليه من باب ذكر اللازم وارادة الملزوم وفي حق الله تعالى عبارة عن مجرد
الاحسان ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الاحسان مجازا عما
وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا هو كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب
يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد
كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهم قلبوا
الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون
السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى
يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند
الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب

ودلالة على انهم لا يعرضون وانما يصرحون بانه في التوريه هكذا
وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم
وياسهم من الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا
على كعب بن الاشرف غيروا التوريه وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه
بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه
السلام وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا
لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد
غير الله او ان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل هذا انما قال ذلك على سبيل التنزيه للنبي صلى الله عليه وسلم
لا على وجه النهي وقيل قال له رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا
على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا
ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته
وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه
الامة وعن الحسن ربانيين علما فقها وقيل علما معلمين وكانوا يقولون
الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم
دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة
الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه
وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من
غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون
من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون تقرءون وقرئ تدرسون من
التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل
وتدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف

تدرسونه

تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على الناس فيكون معناهما
معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم
يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع
حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرئ ولا يامركم
بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة
لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه
الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم
يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي
والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ينهى قريشا وهم الذين كانوا يقولون الملائكة بنات الله عن عبادة
الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له
انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته
وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام
اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في ولا يامركم
وايامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار بعد اذ انتم
مسلمون ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا
له ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ
الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضاف الميثاق الى النبيين اضافة
الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل
واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد
ميثاق اولاد النبيين وهم بنوا اسرائيل على حذف المضاف والرابع
ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل
عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب

واللام في لما اتيتكم لام التوطية لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف
وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى
الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون
موصولة بمعنى الذي اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما اتيناكم وقرا
حمزة لما اتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية
والفعلان معهما يعني اتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام
داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه
لاجل اني اتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته
موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز
ذلك والعطف على اتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم
الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق قلت بلى لان
ما معكم في معنى ما اتيناكم فكانه قيل للذي اتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق له وقرا سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين اتيتكم بعض
الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان
به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات
وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احدها
فصارت لما ومعناه لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة
حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه
مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان
يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا
فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا [illegible] من اقراركم وتشاهدكم
من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة
الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك
الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار دخلت

همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم
الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز
ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم
المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان
الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي
ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا
فيه من دين ابرهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به
فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا
ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء
وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون
جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف
من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على
بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا
باسنا قالوا امنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين
ومكرهين امر رسول الله بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك
وحد الضمير في قل وجمع في امنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم
الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه
الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت
لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء
تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر ومن قال انما قيل علينا لقوله
قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه
الوحي على طريق الاستعلاء وياتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى
الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا
له لا نجعل له شريكا في عبادتها ومن يبتغ غير الاسلام يعني

و قع اللهم اعصم انا الح سرواق [illegible]

التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرى
ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف
بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل
على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول
حق وبعدما جاتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت
بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان
كانوا مومنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات
وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم
طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث ابن سويد بن الصامت
فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان امنوا كقوله تعالى
فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان
الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين
علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم
والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح قيل نزلت في
الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من
توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل
رسول الله توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد
ايمانهم بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مومنين قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم
ميثاقه وفتنتهم للمومنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل
وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفران قالوا نقيم

بمكة

فقنا

نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا
باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه
مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة
عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت
يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا
على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت لم قيل في احدى
الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل قلت قد اوذن بالفاء
ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو
الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على
التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا لاستحقاق
الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل
دعم توبتهم معنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم
وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره
الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد الكفر يرجع الى الاسلام
ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت
على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ
في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين
من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر
انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش
ذهب بالرفع ردا على ملء كما تقول عندي عشرون نفسا رجال فان
قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى
كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز
ان يراد بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه
وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية

ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يزاد في
قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما
مسد الاخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء
الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه
وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض على البنا للفاعل وهو الله
عز وجل ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر لن
تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو
ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها
وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله
اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول
الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح
واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها
في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما
اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله
تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان
يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته
فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها
ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال
خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال
ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي قراءة عبد الله حتى تنفقوا
بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه
اخذتم من المال ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان
طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم

بحسبه

بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل
مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا
وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك
استوى في الوصف به المؤنث والمذكر والواحد والجمع قال الله تعالى
لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب على نفسه لحوم الابل
والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم
على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشار رت
عليه الاطبا باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء
والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة
وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم ولم يحرم منها شيء قبل ذلك
غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه
على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم
مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذ لك
جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمازوا منه وامتعضوا مما نطق
به القران من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا
باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى
ابراهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت
علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم
والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما
عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات
عقوبة لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم
ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب
ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة

ولبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البالغة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي يكرونه فمن افترى
على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال
التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون
المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات
قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا
لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن
امن معه حتى تخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم
حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم
الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة
البيت والواضع هو الله عز وجل يدل عليه قراءة من قرا وضع للناس
بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله
متعبدا لهم وكانه قيل ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد
الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي
رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله
بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة
والبركة واول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم
فبنته العمالقة وهم ملوك من اولاد عمليق بن سام بن نوح ثم هدم
فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل اول
بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض
بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو
اول بيت بناه ادم في الارض وقيل لما اهبط ادم قالت له الملائكة طف
حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل

ادم

ادم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف
به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد
الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع
بالدهنا ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة
وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه
لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال
والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت
ببكة وهي الزحمة ش اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكه •
وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله
مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف عنده وطاف حوله
من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف
من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم
عطف بيان لقوله ايات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد
قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور
شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من
تاثير قدمه في حجر صلد لقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله
على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين
اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاؤه دون سائر ايات
الانبياء عليهم السلام اية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه
من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة اية ويجوز ان يراد
فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع
كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرها
دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من
دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير • كانت حنيفة اثلاثا
فثلثهم • من العبيد وثلث من مواليها • وقوله عليه السلام حبب الي من

دنياكم ثلث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلوة وقرا ابن عباس
وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في روايته قتيبة اية بينة على
التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان
فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان
للايات وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية
واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله
كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم
وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا صح
لانه في معنى قولك فيه اية بينة امن داخله فان قلت كيف كان
سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان
الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت
فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة
اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجائته بهذا الحجر فوضعته
على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته
الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى
ومن دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف
الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا
البلد امنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن
عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج
منه وعند ابي حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة
او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا
يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه السلام الحجون
والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة
والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من
هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين
الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي
عام من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه
اكثر العلما وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل
اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد
والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد
وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك
فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه
ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل
ما اتى الى الشي فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التوكيد
والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب
لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها
انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان
من التوكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان
الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين
مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك صلوة متعمدا
فقد كفر ومنها ذكر الاستغنا عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان
ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغنا
عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغنا لا محالة

ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي
وقع عنه عبارة وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا
الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزلت قوله ولله على الناس حج
البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم
فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون
وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن
كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت
مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر
جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت
في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه
لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله
شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم
عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر باياته قل لم
تصدون من اصد عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي يسلكوها
امر بسلوكها وهي الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم
عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل مرت اليهود
الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات
والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا
وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو
محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم
ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في
اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم
وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل وانتم شهداء

رهم
بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور
وهم الاحبار وما الله بغافل عما تعملون وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال
قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج
في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي ى
كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج
وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغا ضبوا
وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه
من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ كرمكم
الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم
انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق
بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح
اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام
فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال
ان ايات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية
وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم
بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه
في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى
لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل
فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع
للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب
تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه
فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع

منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر و
يذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا يأخذه في الله لومة لائم
ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق
تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه
ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن
تستعين به على قتال العدو لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن
الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان
قوله واعتصموا بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته
بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل
استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل
بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا
عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة
او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضي
عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم
به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين
في الجاهلية يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما
يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما
يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا
في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله
بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا
اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الا
ختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب
وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى
ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم

على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما
كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار
او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما في شرقت
صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث
ولامها واو لانها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا
والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من
النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم
التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على
الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم اياته
لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح
له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف
يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم
في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ
في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره
الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر
والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون
كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف
واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة
كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة
يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم

بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل
محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف
تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي
عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان
قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله
فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت
ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم
لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا
يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب
على ظنه ان النهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر
لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب
على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر
باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة
فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع
ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما
ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص
بشرائطه وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه
الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال
فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت
فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره
منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها
كما يؤخذون بالصلوة ليتمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب
المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره
واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر
وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد

الله

الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود
الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر
فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت
الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله
كقوله والصلوة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود
والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة
واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة
والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف
وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضا رعة
وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان
من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت
صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل
ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته
واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة
رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم
بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعدما اعترافهم به قبل مبعثه وعن
عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة
والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي
امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما راهم على درج دمشق دمعت
عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير
قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله
برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل شيء سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك

قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية
ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل
هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان
قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون
تلك ايات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك
ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما
الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او
ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا
من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح
والرضى بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام
وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى
وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير
امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين
بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام م
ستانف يبين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب به ايمانا
بالله لان من امن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث
او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير
مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو امن اهل
الكتاب لكان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما اثروا دينهم على دين الاسلام
حبا للرياسة واستتباع العوام ولو امنوا لكان لهم من الرياسة والا
تباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما اثروا دين الباطل لاجله مع الفوز
بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن

سلام

سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم
الا اذى الا ضررا على قول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر
ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت
لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم
بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالي به مع
انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان
والذل فان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت
عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم
لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت
لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع
كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها
وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة
لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال
بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي
عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم
ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى
التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان
عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني
منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الا
ستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان
فان من شانه كيت وكذلك جاء ابن عمر عاطف بحبل من الله في محل النصب
على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او متلبسين بحبل من الله
وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة
الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة

المسلمين اي لا عز لهم قط الا معلقا الواحد وهي التجا وهم الى الذمة
لما قبلوه من الجزية وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت
عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير
ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة
الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوا بغضب الله اي ذلك
كاين بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا ثم قال ذلك بما عصوا
اي ذلك كاين بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر
وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب
المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا ادخلوا الربوا
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لاهل
الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة
قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون
بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من
قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر
عن تهجدهم بتلاوة القران في ساعات الليل مع السجود لانه ابين
لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل هي صلوة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه اخر
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشا ثم خرج الى المسجد فاذا الناس
ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله
هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية وقوله يتلون ويؤمنون في محل
الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصايص
ما كانت في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله امو
لان ايمانهم لا شرك معه عزير وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن بكلا الثاني ع
الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم

كانوا

كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة
فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفور
على التراخي واولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين
الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم او
ان يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا
بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفي عنه نقيض
ذلك فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى
واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل
فلن تحرموه اجراه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم
بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده
الا اهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن
اتاويين تضرب بكما اضر باصحاب المحلات كما قالت ليلى الاخيلية
ولم يغلب الخصم الالد وملا الجفان سديفا يوم نكبا صرصر فان
قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها
ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها
قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر
مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من
قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني
فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف مثل ما كانوا
ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر
بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب
حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل هو ما
انفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوا
لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم
لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا

وقف السم المالكي بردواق الزيافه

في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي صربته الصر والكلام غير
مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت
هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد
نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل
ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم
الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم
ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين
ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها
هم ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان
لانه انما يجوز في الشعر بطانة الرجل وليجته خصيصه وصفيه
الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان
شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار
من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا
وبطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا
يقال ألا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في
قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا
ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية
والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره
اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت
البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان
ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء
لاوليائهم من الكفار والمنافقين لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة
عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص
في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما

بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان
يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل
بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدأ
واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي
عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون
في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول
تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا
يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم
فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم
في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من
الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان
والابهام قال الحارث بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون
من غيظ روس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم
حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام
وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات
الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما
يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او
خارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا
في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا
اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات
الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه
قل لهم يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى
من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون

ثم قوله وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امر الرسول الله بطيب
النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا
باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك
الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع
والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حتى يحسدو
هم على ما نالهم من الخير ويشمتون لهم فيما اصابهم من الشدة
فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت
المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله
ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم
عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا
الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ
لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة
الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم
بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو
بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد
فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط
فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم
فيعاقبهم عليه واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه
الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم
الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله
بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد
الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما

خرجنا

خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس
وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله
اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه
السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت
يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة
وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله
بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس
لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على
رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال
لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد
صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال
فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح
ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل
ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا
عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله
للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد
اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى
المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقبل ان تقوم من مقامك من مجلسك
وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل
من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسع مائة وخمسين والمشركون في ثلاثة

في ثلاثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث
الناس وقالوا يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري
فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لا
تبعناكم فهمّ الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله مع رسول الله صلى الله فمضوا
عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم
على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما
لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها الجبن والخور صاحبها
الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الا
طنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب
يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة
لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان
يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله
فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله ما
ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى
ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم
اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المؤاخذ بها لانها لم
تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرا
عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم
بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب
عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة
جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا
قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب
وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما
كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان

عدوهم

السلاح
عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة وبدر
اسم ما بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في
الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته
او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعا م
لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر
او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقول لهم ذلك يوم احد فان
قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت
قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم
يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على
ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلو بهم
ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا
يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد
النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته
كالآيسين من النصر بلى ايجاب لما بعد لن يعني بل يكفيكم الامداد
بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من
ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا
من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان
ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة الامر على الفور لا على التراخي وهو
مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي
لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول
من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتكم هذه يمددكم ربكم
بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصركم
وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزّلين بالتشديد ومنزِلين
بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلَمين
ومعلِمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم

وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها
وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن
عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت وما جعله الله الهاء لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم
بالملائكة الا بشارة لكم بانكم منصورون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت
السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر
الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة
والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة
ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه
الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان
يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير
ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل
في قول ابي الطيب لا كبت حاسدا وارى عدوا هو من الكبد والرية
واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا
من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض
والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم
ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت
عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار
ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس
لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم
شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او

تعطيني

تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح
بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم
احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة
يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم
فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء
بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ان يعذب الا
المستوجبين للعذاب وعن عطا يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه
ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسيره
بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع
يتصامون ويتعامون عن ايات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون
انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء
ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة
نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا
بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رحمه الله يقول
هي اخوف اية في القران حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه باجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من رجاء المؤمنين
لرحمته لتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الايات
وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره
تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى
على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضى الله وعزة
التوصل الى رحمته وثوابه في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير
واو وقرا الباقون بالواو وبنصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى
المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما تستحقان به عرضها السموات

والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض
السما والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت
باوسع ما علمه الناس من خلقه والبسطة وخص العرض لانه في
العادة ادنى من الطول للمبالغة لقوله بطاينها من استبرق
وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال
الضيق والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا
عليه من كثير او قليل كما حكي عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصله
وعن عايشه رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال
لانها لا تخلو عن حال مسره ومضره لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال
محنه وبلاء من المعروف وسوا عليه كان الواحد منهم في عرس او في
حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شي على النفس
وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجه اليه
في مجاهدة العدو ومساواه فقرا المسلمين كظم القربه اذا ملاها
وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان
يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن
عايشه رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت
لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه
وروي ينادي مناد يوم القيامه اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم
الا من عفا وعن ابن عيينه انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد
كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان تكون
اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هولاء المذكورون وان تكون
للعهد فتكون اشارة الى هولاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين

وللتايبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين
مبتدا خبره اولئك فاحشه فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او
اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل الفاحشه الزنا وظلم النفس
ما دونه من القبله واللمسه ونحوهما وقيل الفاحشه الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه ووعيده او نهيه او حقه العظيم
وجلاله الموجب للخشيه والحيا منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها
لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته
بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التايب من الذنب من عوعنه (؟)
كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب
المغفرة للتايبين لان العبد اذا جا في الاعتذار والتنصل باقصى
ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد
توب وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان الذ
وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه تعالى وحده معه
مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف
عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون
حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى ليسوا
ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها
لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات بيان قاطع ان الذين
امنوا على ثلاث طبقات متقون وتايبون ومصرون وان الجنة للمتقين
والتايبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند
ربه ونعم اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم انما في معنى واحد وانما خالف
بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق
عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حيا

من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن
شهر ابن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة
بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة
وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة
برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجوا النجاة ه
ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس ه والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك اعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه
الله تعالى في الامم المكذبين من وقايعه كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين
خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا
بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب
المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني
انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ه
ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر
العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين التائبين والمصرين
ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم
احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا
وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى
منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او انتم الاعلون
شانا لان قتالكم لله تعالى ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم
في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة
وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم
على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وقلة المبالاة باعدائه
او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة قرئ قرح بفتح القاف
وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا ابو السماك
قرح بفتحتين ونحوه الطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نالكم

منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم
بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون
من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل
ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فكيف
قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت
بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم
في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك
مبتدا والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام
مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات
الظفر والغلبة ونداولها نصرفها بين الناس نديل تارة
لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا
ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال
وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين
ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر رضي
الله عنه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا
عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال
عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال
انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاورة
قال يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع
يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان
احدهما ان يكون المعلل محذوفا ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان
من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل يعني فعلنا
ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت
والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم

على ما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان
تكون العلة محذوفة وهذا اعطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون
كيت وكيت وليعلم الله واما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل
ليست بواحدة لتسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد
يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من
المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم
بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او ليتخذ منكم من يصلح للشها
دة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله
تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض
التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين
على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص
التطهير والتصفية ويمحق الكافرين يعني ان كانت الدولة
على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو
اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان
العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف
بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى
يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد
فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما
يريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل
اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن
وقرا الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم
بالرفع على ان الواو للحال كانه ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد
كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون

ان تحضروا

تحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة
الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج
الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت
قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه
وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل من بين
يديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم
على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه
ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة
وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى
نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما
ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصدا الى حصول المامول من
الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا
لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض
الى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ
تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا
لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر
فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب
بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة
وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا
ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر
قتله فانكفؤوا وجعل رسول الله يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه
طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا
وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي
انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ

لنا خطرا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال
اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد
بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصارى يتشحط فى دمه
فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ
قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو
كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان
تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة
والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات الفاء معلقه
للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان
تجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه
بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب
ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب
عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا
عند المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك
من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوى البصيرة الا ترى
انهم سمعوا الخبر بقتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلا
لهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله يقوم به من امر
الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم
الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم
فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسلامه فلن يضر الله شيا يعنى فما ضر الا نفسه فان الله عز وجل لا يجوز
عليه المضار والمنافع وسيجزى الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس

وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله

بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما
فعلوا المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج
فعل لا ينبغى لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن له الله فيه تمثيلا ولان
ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله
وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو
باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض
المهالك واقتحم المعارك والثانى ذكر ما صنع الله عز وجل برسوله عند غلبة
العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة
ذنا خيرا لاجل كتابا مصدر موكد لان المعنى كتب الموت كتابا موجلا
موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا
تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نوته منها اى من ثوابها
وسيجزى الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شى عن الجهاد
وقرى يؤته وسيجزى بالياء فيهما وقرى قاتل وقتل وقتل بالتشديد
والفاعل ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل
كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد
بن جبير ما سمعنا بنبى قتل فى القتال والربيون الربانيون وقرى
بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب
وقرى فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبى وما ضعفوا
عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن
والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن
مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق
عبد الله بن ابى فى طلب الامان من ابى سفيان وما كان قولهم الا ان
القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين
هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت
الاقدام فى مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء

ما ضعفوا

وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة **فآتاهم الله ثواب الدنيا**
من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن
دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة **إن تطيعوا الذين كفروا** قال علي رضي الله عنه نزلت
في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا
في دينهم وعن الحسن إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم
لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون
لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل
حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي إن تستكينوا
لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل هو عام
في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا
ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم **بل الله مولاكم**
أي ناصركم لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب
على بل أطيعوا الله مولاكم **سنلقي** قرئ بالنون والياء والرعب بسكون
العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا
إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما
كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن
قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم
الرعب فأمسكوا **بما أشركوا** بسبب إشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله
الرعب في قلوبهم إشراكهم به **ما لم ينزل به سلطانا** آلهة لم ينزل الله
بإشراكها حجة فإن قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك
قلت لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن
تقوم عليه حجة وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر **ولقد صدقكم الله وعده** وعدهم الله النصر بشرط الصبر
والتقوى في قوله إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم

ويجوز

ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من
المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة
وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت
الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون
خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم
إذ تحسونهم أي تقتلونهم قتلا ذريعا حتى إذا فشلتم الفشل الجبن وضعف
الرأي وتنازعتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا وقال
بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه
عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله
ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينتهبون وهم الذين أرادوا الدنيا
فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين
وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو
قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان
عندها **ولقد عفا عنكم** لما علم من ندمكم على ما منكم من عصيان أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم **والله ذو فضل على المؤمنين** يتفضل عليهم
بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل
عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة فإن قلت أين متعلق حتى
إذا قلت محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون
المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم **إذ تصعدون** نصب بصرفكم
أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكر والإصعاد الذهاب في الأرض
والإبعاد فيه يقال صعد في الجبل وأصعد في الأرض يقال أصعدنا
من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضده الأولى
قراءة أبي إذ تصعدون في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعّدون بفتح التاء

وتشديد العين من تصعّد في السلّم وقرا الحسن تلوون بواو واحدة
وقد ذكرنا وجهها وقرئ يُصعِدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم
كان يقول الىّ عباد الله الىّ عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة
في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتاخرة يقال جيت في اخر الناس
واخراهم كما تقول في اولهم واوليهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى
فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم
غمّا اذ فتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له او غمّا مضاعفا
غمّا بعد غمّ وغمّا متصلا بغمّ من الاغتمام لما ارجف به من قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة
والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرّنوا على تجرّع الغموم وتضرّوا باحتمال
الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من
المضارّ ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فاثابكم الرسول
فآساكم في الاغتمام وكما غمّكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجّة وغيرهما
اغمّه ما نزل بكم فاثابكم غمّا اغتمّه لاجلكم بسبب غمّ اغتممتموه لاجله
ولم يثرّبكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسلّيكم وينفّس
عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو ثم
انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا
وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافّنا فكان السيف
يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته
وعن ابن الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا
الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتّب بن قشير والنعاس
يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن
وقرئ امْنة بسكون الميم كانها المرّة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز
ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رايت راكبا
رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي

كان سائقا

امنة

وقف المرحوم ... [illegible] ... شروط
فيها الا يعطى لاحد من كل محل اكثر من كراسين ويحفظ ... [illegible]
ثم من كتاب وقفه المحل بمحلّه ... [illegible]
سنة ... [illegible]

او امنة او على انه جمع آمن كبارّ وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردّا
على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين
وطائفة هم المنافقون قد اهمّتهم انفسهم ما بهم الا همّ انفسهم لا
همّ الدين ولا همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين او قد اوقعتهم
انفسهم وما حلّ بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباكي غير
الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي
يجب ان يظنّ به وظنّ الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون
بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول
غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم
الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية اي لا يظن
مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يسالونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا
معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على
العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة
كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر
من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على الانكار
من شيء على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك
لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال
محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل
من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم
الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن
بدّ من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون
الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب
في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان

العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ربما
ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم
على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل
لنا من التدبير من شي يعنون لم نملك شيا من التدبير حيث خرجنا من
المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابي
وغيره ولو ملكنا من التدبير شيا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان
التدبير كله لله يريد ان الله عز وعلا قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة
ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرى كتب عليهم
القتال وكتب عليهم القتل على البنا للفاعل ولبرّز بالتشديد وضم
البا وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المومنين من الاخلاص وليمحص
ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة
وللابتلا والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطايفة
قلت قد اهمتهم صفة لطايفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى
قد اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون
بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسلة عن الامر بدلا
من الاخبار بالظن قلت كانت مسلتهم صادرة عن الظن فلذلك
جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض
بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استيناف
استزلهم الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا
من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم
انهم كانوا اطاعوا الشيطان واقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد
وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي
وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان
الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول
ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة
وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقا الله معها فاخروا الجهاد
حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل
ببعض ما كسبوا قلت كقوله ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتو بتهم
واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة
وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس والنسب
اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى وفي قوله عفا الحياض اجون وقرى
بتخفيف الزاي على حذف التا من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا
مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون
في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك
واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا
وحزنا او لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله
الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى
اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم
ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق
صدورهم عقوبة باعتقادهم فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة
وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السما ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا
تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفا كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي
ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم
والقاعد كما يشا وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر
الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين

الجننا والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين
كفروا المغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى
الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من مات من اخوانهم او
غزى لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب للتقاعد
عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت
او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في
سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس
خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار لالى الله
تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب والعظيم الثواب تحشرون
ولوقوع اسم الله هذا الموقع تقديمه وادخال اللام على الحرف
المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت
ومات يمات فبما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة
من الله ونحوه فيما نقضهم ميثاقهم لعنائهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه
وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمثابة
بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا
غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك
احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله
اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما
لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم
والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه
اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم
قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم
يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل
عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا

عزمت

عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء
امرك على الارشد لا الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت
ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على
شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم
الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد
فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب
التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك
من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرئ عبيد بن عمير وان
يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما
يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون
به العقوبة بالخذلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل والتفويض
اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه
يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية ويقال
اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في
الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم
القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه عليه السلام
ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال
اغله اذا وجده غالا كقولك اخلته واحمدته ومعنى وما كان لنبي ان
يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا
على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له
ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما
ان يبرئ رسول الله من ذلك وينزهه وينبه على عصمته بان النبوة
والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب
به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين

لغل رسول الله اخذها وروى انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة
المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ
شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري
فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل
ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت
يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية
وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو
قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز **يات بما غل يوم القيمة** يات بالذي
الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه
وروى الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وبقرة لها خوار
وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد
بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت
عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان
يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل
ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من
الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم
الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي فموفى جزاؤه علم انه غير متخلص
من بينهم مع عظم ما اكتسب **وهم لا يظلمون** اي يعدل بينهم في الجزاء كل
جزاؤه على قدر كسبه **هم درجات** اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات
كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول وقيل
ذووا درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين
او التفاوت بين الثواب والعقاب **والله بصير بما يعملون** عالم باعمالهم
ودرجاتها فيجازيهم على حسبها **لقد من الله على المؤمنين** على من امن

مع رسول الله

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم
هم المنتفعون بمبعثه **من انفسهم** من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من
ولد اسماعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان
من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم
اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك
اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة
ولد اسماعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة
مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش
محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي
الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا
من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا
حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا
الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به
فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ
لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله
على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون
اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما
بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه **يتلوا عليهم اياته** بعد ما كانوا
اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي **ويزكيهم** ويطهرهم من دنس
القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث
وقيل وياخذ منهم الزكوة **ويعلمهم الكتاب والحكمة** القران والسنة
بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم **وان كانوا من
قبل** من قبل بعثة الرسول **لفي ضلال** ان هي المخففة من الثقيلة واللام

هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث
كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة
يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها
يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في
محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب
لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو
هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله
وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف فكانه قيل افعلتم كذا وقلتم
حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله من عند انفسكم وقوله
من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من
المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من
اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على
النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى
وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن
الله اي بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم
ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو
كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق
هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا
لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل
فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا
ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة
كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن لهم غرض الآخرة دفعا عن
انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا
لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه
فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين

وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن
سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري
ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم فقيل له
وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم
وجه اخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان
يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم
عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس
الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب
الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك
اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم
فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن
الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب
نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية
المشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف
منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم فهم
وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين
في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يخلو
به بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة
بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم
كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان
يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين
قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من
الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم
لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب
وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا

اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل
قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين قل ان كنتم
صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال
فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم
ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع
سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات
يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين
في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين
قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن
القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل
سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم
صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر ان
كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم
وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم
الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا
جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله او لكل احد
وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون
الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا
يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول
الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء
والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ يحسبن بفتح السين وقتلوا
بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون
عنده ذووا زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر
الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم
عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق

في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم
احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه
وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور
في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة
في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا
بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا
بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم
ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما
تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم يبعثون امنين
يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء
واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة
والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد ذ
لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمومنين
بالفوز في الماب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله
ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك
اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع
وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء
وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله
والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة
للمومنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا
من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب
اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر
يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد
وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم

حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت

قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه

جملة مستأنفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف
الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف
مضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اى قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه
يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس
وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع رسول الله فان قلت فالى من يرجع الضمير
فى فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس فى قوله ان الناس
قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون
فجاهدوا مع رسولى وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعنى
ان الايمان يقتضى ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا تخشون
احدا الا الله يسارعون فى الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون
فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا
عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول
ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك
خوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا
يعنى انهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا
على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم
حظا فى الاخرة اى نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم
وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل
الله لهم حظا فى الاخرة واى فائدة فى ذكر الارادة قلت فائدته
الاشعار بان الداعى الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه
صارف قط حين سارعوا فى الكفر تنبيها على تماديهم فى الطغيان
وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل
عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن

نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشتان
على المضمر ان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا
فيمن قرا بالتاء نصب وانما نملى لهم خير لانفسهم بدل منه اى ولا تحسبن
انما نملى للكافرين خير لهم وان مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين
كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن
ان املاءنا خير وكان حقها فى قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها
وقعت فى الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام فى خط المصا حف
فان قلت كيف صح مجىء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز
الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث
ان التعويل على البدل والمبدل منه فى حكم المنحى الا تراك تقول
جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك
ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب
الاملاء خيرا لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير
لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما فى حيزه والا ملا
لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى
كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الا ملا
خير لهم من منعهم او قطع اجالهم انما نملى لهم ما هذه حقها ان تكتب
متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة
قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملى لهم
ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا
لله تعالى فى املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا
تراك تقول قعدت عن الغزو للفاقة وخرجت من البلد لمخافة
الشر وليس شىء منها بغرض لك وانما هى علل واسباب فكذلك ازديا د
الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم
علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان فى علم الله

المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه
على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن
بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما
يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير
لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان
عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة
بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة
قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال
كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتاكيد النفي على
ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث
من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي
رواية عن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في
انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل
ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط
بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق
جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما
كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب
فلا تتوهموا في القلوب عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الاخر
انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن
الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا
في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار
الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين
حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر
عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق
الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم

حتى يعلم

حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة
الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر
الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب
حتى يعلم صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه
حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان
تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا
بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي
قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر
فنزلت ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا يحسبن
بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن
ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول
الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو
خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ
الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا
جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها
في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول
انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق بشجاع
اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق ولله ميراث
السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره
فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة
الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين
سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان

يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزا بالقران وايّما كان فالكلمة
عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف
عليه وانه اعدّ له كفاه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحايف
الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب
فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد
كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب
على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا
قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان
وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظايم وانهم اصلا في الكفر
ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبيا لم يستبعد منه الاجترا على
مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع
ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة
وايتا الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي
ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه
وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول
صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة
ونقول ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب
الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احسس وذق وقال
ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرا حمزة سيكتب بالياء على
البنا للمفعول ويقول بالياء وقرا الحسن والاعرج سيكتب بالياء
وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما
تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل
عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله
وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه
غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيات في استحقاقهم التعذيب

قلت

قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل
ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التورية
واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الاية الخاصة
وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السما فتاكله كما كان انبيا بني اسرايل
تلك ايتهم كان يقرب القربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السما
فتاكله وهذه دعوى باطلة وافترا على الله لان اكل النار القربان لم
يوجب الايمان للرسول الاتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وساير
الايات سوا فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الايات وقد الزمهم
الله تعالى ان انبياهم جاوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم
التصديق وجاوهم ايضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا
صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره
السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى
الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون
لما قالوا اي لمعنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف
والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية
لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرا اليزيدي ذا يقه
الموت على الاصل وقرا الاعمش ذايقه الموت بطرح التنوين مع
النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فالقيته غير مستعتب فان
قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم على طاعتكم ومعاصيكم
عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت
فهذا يوهم نفي ما روي ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان
توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض
الاجور الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا

ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان
الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتى الى الناس ما يحب
ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد
شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد
ابن جبير انها هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها
متاع بلاغ ۝ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما
سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها
وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها
وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس بالاسر والقتل والجراح وما يرد
عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال بالانفاق في سبيل
الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن
في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من
كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين
ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر والتقوى ۝
من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من
الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله
لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الناس ميثاق
اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب
واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له بالله لتفعلن
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ۝
ونقيضه جعله نصب عينه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه

ماخوذ

ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا
منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
واستجلاب لمسار او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا
دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن
طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال
والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن
محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان
يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل
الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا
يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني
اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين
الذين والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا
تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن وفلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين
ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول
وقرأ ابو عمرو وبالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل
للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على يحسبنهم الذين يفرحون
بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم
تأكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله
تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون
بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى
بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل
اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم
قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك
وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا

من كتمانهم وتدليسهم عليك ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى بما اوتوا بما اوتوه من علم التورية
وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية
وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل
اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك
الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اوتوا من اظهار الايمان
للمسلمين وما فعلهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان
الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل
من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه
بالديانة والزهد وما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو
يملك امرهم والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لايات لادلة واضحة
على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم
للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين
عما فيها من عجائب الفطر والصنائع الصغار املا عينيك من زينة هذه
الكواكب واجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا
حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن
عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب
اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل
لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني احب قربك
واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم
يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي حتى بلغ الدموع
حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت
دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فراه يبكي

فقال

فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال يا بلال ومالي لا ابكي
وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم
قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه
ولم يتاملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام
من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات
والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين
سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم فقالت له امه لعل فرطة
فرطت منك في مدتك فقال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء
ولم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا من ذاك يذكرون الله ذكرا
دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر
في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم
العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى
يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل
معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم
تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رضي الله عنه في ه
اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رحمه الله انه ه
يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا
على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق
السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع ع
صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان ن
الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام
ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول

الدم من طول حزنه و فكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق
على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السما فقال اشهد ان لك
ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية
كما تحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان واستنارت
بمثل الفكرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى
فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر
في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم
مثل عمل اهل الارض **ما خلقت هذا باطلا** على ارادة القول اي يقولون
ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا
باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين
وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل
به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة
الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون
في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة
الى السموات والارض لانهما في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق
العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران يهدي
للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه
من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة **فقد اخزيته** فقد ابلغت في اخزائه
وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق **وما للظالمين** اللام اشارة الى من يدخل
النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول
سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف
المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا منه فاغناك عن ذكره
ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله

فان

فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء
مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينا دي
للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة
المكروب او الكفاية لبعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي
قد يطلق على من يهدي الطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا
قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي
والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه
له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية
ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعوا
الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القران **ان امنوا** اي
امنوا او بان امنوا **ذنوبنا** كبائرنا **سيئاتنا** صغائرنا **مع الابرار** مخصوصين
بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب
وصاحب واصحاب **على رسلك** على هذه صلة للوعد في قولك وعد
الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه
كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله امنا وهو التصديق
ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا
على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك
والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف
دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب
التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجا الى الله
والخضوع له كما كان الانبيا عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم
مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا
الذي هو سيما العبودية يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند
ذلك مجيب **اني لا اضيع** قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة

القول وقرئ لا اضيّع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي جمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بيّنت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم والله عنده حسن الثواب اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الانابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن رضي الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء

لا يغرنك

لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود فروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى نهي عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي: وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار

من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزلا بالسكون
وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وإن من أهل
الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل
الكتاب وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل في
أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك
أنه لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه السلام اخرجوا
فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة
فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا
إلى هذا يصلي على نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت
لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما لقوله وإن منكم لمن ليبطئن
وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم أولئك لهم أجرهم
عند ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه في قوله أولئك
يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته إن الله سريع الحساب
لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد
إنما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه
وصابروا أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب
لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على
ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا وأقيموا في
الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر
ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة

آل

آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام
من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملا يكته
حتى تحجب الشمس سورة النساء مدنية وهي مائة وست
وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها
الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو
نفس آدم أبيكم فإن قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها
قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس
واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى
عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهو أنه أنشأها من
تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي
جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل
لكيفية خلقهم والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها
الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم
من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت
الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى
بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من
نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت
لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا
على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن
يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم
فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد
بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا
يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث

جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض
فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة
وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر
مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فادغمت
التاء في السين وقرئ تسالون بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا
بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف
وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون
موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة
من قرا تسلون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات
الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان يعطف
على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن
مسعود تسالون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس
بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد
فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال
فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب
تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا
ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال
لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار
ونظيرها قول الشاعر * فاذهب فما بك والايام من عجب * والرفع على
انه مبتدا خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام
مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا
وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذي خلقكم واتقوا الذي
تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعا
طفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه
ان صلتها بمكان منه كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن

ه وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم
حجنة عند العرش فاذا اتاها ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا
اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام
تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال
الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته
ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر
ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته
وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم
واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم
في الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات فان قلت كيف
جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى
كاسرى لان اليتم من وادي الافات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى
ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس
فيقال ايتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار
والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل
ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم
وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم الاسم وكانت
قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب اما على القياس
واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما
قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني
انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت فما معنى قوله
واتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم
الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا
عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما

ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر
كما تسمى الناقة عشارا بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم
اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان
يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال
كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب منه المال فمنعه عمه فترافعا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا
الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته
فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت
الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام
وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله
المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال
اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى
الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار
قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل
اراد باللوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ
جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل
انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة
من مال الصبي ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها
وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم
قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم
اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم
اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال الحلال وهم على ذلك

يطمعون

يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك
فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب الكبير
العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه
كان ذنبا عظيما كبيرا وقرا الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب
حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد
ولما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء
ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولا
يتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا
يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل
في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا
عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله
فهو غير متحرج ولا تايب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه
لقبحه والقبح قايم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون
من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا
ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة
لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت
عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن
ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء
فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور
وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرا النخعي
تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم الجور
ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم
وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء
ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد
مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها

عن تكررها وهي نكرات تعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح
المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره
فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا
اربعا فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث
او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب
التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول
للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلثة
ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء
العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو
ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلثة ثلثة او اربعة
اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة
وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على
تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو
وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها
من النساء على طريق الجمع ان شاؤوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين
فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرا ابرهيم وثلث وربع على القصر من
ثلاث ورباع **فان خفتم الا تعدلوا** بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل
فيما فوقها **فواحدة** فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان
الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة
بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت
ايمانكم** سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير
حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف
مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن او اقللت عدلت بينهن في القسم او لم تعدل
عزلت عنهن او لم تعزل وقرا ابن ابي من ملكت **ذلك** اشارة الى اختيار
الواحدة والتسري **ادنى ان لا تعولوا** اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال

الميزان

الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه
اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت
عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعولوا
الا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر ان لا تعولوا
ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم
كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم
وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال
والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين
حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا
فقد روي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت
من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم
بكتاب شافي العي من كلام الشافعي رضي الله عنه شاهدا بانه كان
اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن
للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات
فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت
ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري
ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة
لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه
القراءة تعضد تفسير الشافعي رضي الله عنه من حيث المعنى الذي قصد
صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة
وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن
وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ
صدقتهن بضم الدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة **نحلة**
من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا

ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك ضمير التانيث في
نحلتك لامنه عايشه رضي الله عنها والجداد بفتح الجيم وكسرها لغتان
كالقطاف والقطاف والصرام والصرام ومعناه القطع والمراد به هنا
المجدود وهو من اعمال المصدر ضرب الامير وروي جاد عشرين وسقا
وهذا من باب عيشة راضية والمعنى اني اعطيتك نخلا يجد منه مقدار
عشرين وسقا والوسق ستون صاعا وهو حمل والعاليه موضع في حد المدينه
الى الشام جداد عشرين وسقا بالعاليه وانتصابها على المصدر لان النحله
والايتا بمعنى الاعطا فكانه قيل وانحلوا النسا صدقاتهن نحله اي
اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي اتوهن
صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطا او من الصدقات اي منحوله معطاة
عن طيبة الانفس وقيل نحله من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن
وقيل النحله الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي
يدين به والمعنى اتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز
ان يكون من الصدقات اي دينا من الله شرعة وفضله والخطاب للازواج
وقيل للاوليا لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيا
لك النافجه لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي
تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شي من ذلك
كما قال الله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج
المسموعة من افواه العرب ما روي عن روبه انه قيل له في قوله
كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في
معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت واتوا النسا صداقهن
لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل
اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد
يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه
نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم

وسوء

وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه
بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع
امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد
عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت
نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن
وحكي ان رجلا من ال ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا كان
لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال
الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها
فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته
ان النسا يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع
فذلك لها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طايعة غير
مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يواخذكم الله به في الاخرة وروي
ان ناسا كانوا ياثمون ان يرجع احدهم في شي مما ساق الى امراته فقال الله
تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سا
يغا هنيا وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن
او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل
فان طبن لكم عن شي منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل
الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي
لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير
لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول
ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا
هنيا مريا الهني والمري صفتان من هنو الطعام ومرو اذا كان سايغا
لا تنغيص فيه وقيل الهني ما يلذه الاكل والمري ما تحمد عاقبته وقيل هو

ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة
المرئ لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا
هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه
ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين
كانه قيل هنئا مرءا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازا
وازالة التبعة السفهاء المبذرين اموالهم الذين ينفقونها في الاباحة
فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب
للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم
كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل
على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم
جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم
فكانها في نفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا
بمعنى عياذا وقرا عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به
كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح
المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس
وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس
وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد
صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج
احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب
الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتربحوا
حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو
امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او
امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج
عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت
اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت

عليك

عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت
اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف
وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا
عقولهم وعرفوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا
تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد
البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو
مقصود به وهو التوالد الايناس الاستيضاح فاستعير للتبين
واختلاف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم
الله ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد
التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ
للمال وعند مالك والشافعي رحمهما الله الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه
في الاخذ والعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح
في الدين لان الفسق مفسد للمال فان قلت فان لم يونس منه رشد
الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين
سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها
سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام
مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا او لم يونس وعند
اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير
الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة
او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان
قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم جعل
غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى
تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة
شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله
فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة

جوابا للشرط الأول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا
اليتامى إلى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط إيناس
الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان احستم قال احسن به فهن اليه شوس
وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين
ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها
وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا
ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف
من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء
على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة
او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف
مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان
رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل
مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله
قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم
وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده
مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس
الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب
يتقرم تقرم البهمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي
يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة
ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء
شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت
ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف

ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف

ابلغ

قولا بليغا اي قل لهم قولا بليغا اي بالغ في وعظهم بالتخويف
والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت
بقوله اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما
ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ل
ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في انفسهم من الدغل
والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه
المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم
ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي
قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا
بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا
انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله
بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ
او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها
في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا
من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله
في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد
عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق
متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص
وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت
شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا
اي فتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الا
لتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره
وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه

فوربك كقوله فوربك لنسئلنهم ولا مزيده لتاكيد معنى القسم كما
زيدت في لئلا يعلم لتاكيد معنى وجوب العلم فلا يؤمنون جواب
القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في يؤمنون
قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا
اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم
فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا
اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك
لا يعارضونه بشيء من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم
نفسه له واسلمها اذا جعلها خالصة سالمة له وتسليما تاكيد للفعل
بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم
وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب
ابن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى
يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير
براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال
قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم
ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال
ثابت ابن قيس ابن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني
محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت

وابن مسعود

مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي
ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا
ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان
حاطب وفي شان هولاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اي لو
اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم
من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم
وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا
بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به
لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في
عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد عن الاضطراب فيه واذا جواب
لسؤال مقدر كانه يقول وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت واذا لو
ثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت
من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته
اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا باثباته ولهديناهم وللطفنا بهم
ووفقناهم لازدياد الخيرات الصديقين افاضل اصحاب الانبياء الذين
تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم
وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة
اقرب عباد الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه
معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب
كانه ولاستقلاله بمعنى التعجب وقرئ وحسن اولئك رفيقا لقول
المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم
مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد
والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي

ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد
تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني
لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك
فذكرت الاخرة فخفت لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع
النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم
ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه
وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة
ذلك مبتدا والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك
مبتدا والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطى المطيعون من الاجر
العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا
لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم
ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما
بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر
بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه
جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا
واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو
اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا اي مجتمعين كوكبة
واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرى فانفروا بضم الفاء
اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب
قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة
من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والقسم وجوابه صلة
من والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنا

فقون

المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن
وليتخلفن عن الجهاد وبطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم وقرى ليبطئن
بالتخفيف يقال بطا عليه فلان وابطا علي وبطؤ بمعنى نحو ثقل ويقال
ما ابطا بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل
فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق
عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة
من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن وقرا الحسن
ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في
معنى الجماعة وقوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له
معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم
في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه
تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون
بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرى فافوز بالرفع عطفا
على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا
ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت يشرون
يبيعون قال بن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فالذين
يشرون الحياة الدنيا بالاخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم
من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في الله حق
الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الاجلة على العا جله
ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت
نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل
في سبيل الله اى في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا
على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان د
سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي

الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفين هم الذين اسلموا بمكة
وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين
يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه
فيسر الله لمعظمهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل
الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم
احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة
عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا وقال ابن
عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان
قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم
الولدان غير المكلفين ارغاما لابائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان
المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله تعالى
بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة
باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي من
المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء
الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال
لهما الوليد والوليدة وقيل للولد والوليدة الولدان لتغليب الذكور
على الاناث كما يقال الاباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه
مونث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب
القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي
ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف لان الاهل يذكر
ويونث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت
نعم كما تقول التي ظلموا على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا
النجوى الذين ظلموا رغب الله المومنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم
انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في
سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمومنين الى

حسب

حسب كيد الله للكافرين اضعف شي واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها
عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار
ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يوذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال
بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن
الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر
الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب
قلت محله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون
الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله واشد معطوف ف
على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر
ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت
ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت
يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب
انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب
خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها
لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية
خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون النا س
خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من الله ويجوز على هذا ان
يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد
خشية منه لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى
الى وقت اخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ولا تظلمون
فتيلا ولا تنقصون ادنى شي من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا
عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء
كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات
الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع ايما تكونوا وهو
ايما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين عشيرة وهو

لينسوا المصلين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم
وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا يظلمون فتيلا
اي ولا ينقصون شيئا ما لبث من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب
ونحوها ثم ابتدا فقال يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة
مرتفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد
وهو الجص وقرا نعيم ابن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها
مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر ناظمها السيئة تقع على
البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال تعالى ان الحسنات يذهبن
السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخا نسبوها الى الله
تعالى وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من
عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى عليه السلام
وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا
بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها تشامت برسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
فرد الله تعالى عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على
حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلمون ان الله هو القابض
الباسط وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان
خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا
وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية فمن عندك لانك السبب فيها
بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير
وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع نعله الا بذنب وارسلناك للناس رسولا اي
رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب

والعجم

والعجم كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك ولا ينبغي لاحد ان يخرج
عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا امر
يامر الا بما امر الله به ولا ينهى عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني
فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا
تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد
غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى
فنزلت ومن تولى عن الطاعة واعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا
ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما
انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا
طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم
سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قال سيبويه وسمعنا بعض العرب
الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال
امري وشاني حمد الله ولو نصبت حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع
يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طايفة منهم غير
الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما امرت
من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما
ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت من البيتوتة لان قضاء
الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر
لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف
اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك
فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم وتوكل
على الله ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله
يكفيك مكرهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ
بيت طايفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطايفة غير حقيقي

ولانها في معنى التفريق والفرج تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما
يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القران
اي تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير
منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه
بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته وبعضه اخبارا
بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه
دالا على معنى صحيح عند علماء البيان وبعضه دالا على معنى فاسد
غير ملتئم فلما تجاوب بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة
معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره
عالم بما لا يعلمه احد سواه **فان قلت** اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان
مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس
ولا جان من الاختلاف **قلت** ليس باختلاف عند المدبرين هم ناس
من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان
بالامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن
وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك
الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصرا
بالامور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين
يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور
الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار
فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى
الرسول والى اولي الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين
يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتونه وما يذرون فيه وقيل
كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير
معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا عليهم وعلى المؤمنين ولو ردوه

الى الرسول والى اولي الامر منهم وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل
هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل
هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من
الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم
يقال اذاع السر واذاع به **قال** اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء
نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ
من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام **لقوله** كما ضجر بازل من الادم دبرت
صفحتاه وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه
واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه
من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو
ارسال الرسول وانزال الكتب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على
الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الاي قبلها تثبطهم عن
القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها **قال**
فقاتل في سبيل الله لا تكلف ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله ناصرك لا الجنود فان
شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في
بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون
لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف
بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين
وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف
باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال
هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام خصب
فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة
الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا او جلب اليه خيرا

يبتغي بها وجه الله ولم يوجد عليها رشوة وكانت في امر جايز لا في حد
من حدود الله تعالى ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كانت على خلاف
ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية
فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا
اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى
الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر
الغيب استجيب وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب
والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا
وانات على الشي وقال الزبير بن عبد المطلب وذي طعن كففت
السوء عنه وكنت على اسائته مقيتا وقال السموال
الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من
القوت لانه يمسك النفس ويحفظها الاحسن منها ان يقول وعليكم السلام
ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله
وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال عليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله تعالى وتلا الاية فقال انك لم تترك فضلا فرددت
عليك مثله او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه
بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب
والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال
لاخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة
والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل مر على قوم مسلمين
يسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه
الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراة القران جهرا ورواية الحديث
وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب

الشطرنج

الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري
من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام
على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم
الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والرا كب
على الماشي وراكب الفرس على راكب الفرس الحمار والصغير على الكبير
والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني
الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقو لوا
وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبدا اليهودي
بالسلام وان بدا فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر
وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه
قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال
اليس في رحمة الله يعيش فقد رخص بعض العلما في ابتدا اهل الذمة
بالسلام اذا دعت الى ذلك حاجة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي
وعن ابي حنيفة لا تبدا بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا
يسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا
باس بالدعا له بما يصلحه في دنياه على كل شي حسيبا اي يحاسبكم على كل شي
من التحية ومن غيرها لا اله الا هو اما خبر لمبتدا واما اعتراض والخبر
ليجمعنكم الى يوم القيمة اي يحشركم اليه والقيامة والقيام كالطلابة
والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تبارك وتعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وجل
صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقبح بصارف عن
الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن
الشي بخلاف ما هو عليه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا فمن كذب لم يكذب
الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه

يجهل عناه وهو جاهل بقبحه او سفيه لا يفرق بين الحق والباطل في
اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق
وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتي به
لما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في
قولي لا لقلتها فكان الغني الحكيم الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم
بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فئتين نصب على
الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف
المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم مسلمون وقيل كانوا
قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل
هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا
وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم اظهروا
الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا
نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم
والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم
ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم
في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان
تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة من
اضل وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها فتكو
نون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى
ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين
الآباء فلا تتولوهم فان امنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ولرسوله
لا لغرض من اعراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن

الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين
يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان
بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء
من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون
بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت
به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد
قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من هو من انسابهم والقوم
هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد
وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان
لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من دخل الى هلال ولجأ اليه فله من
الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في
الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل
الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم
ولا عليكم او على صلة الذين كأنه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين
او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة بقوله فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاق
نفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين
له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين
والاتصال بالكافين لان الاتصال سواء او هو لا دخول في حكمهم فهلا جوز
ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم
اتصالهم بالكافين واختلاطهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز
ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي جاؤكم وبينهم ميثاق
او جاؤكم حصرت صدورهم بغير واو ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون
او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال

باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرا حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم
وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على اوجاوكم قوما حصرت صدورهم
وقيل هو بيان لجاوكم وهم بنو مدلج جاوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او لكراهة ان يقاتلوكم
فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المسلمين قلت
ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من
ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متعاطين مسلطين غير مكافين فذلك
معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ
بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم
في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون هم قوم من اسد وغطفان
كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا
الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم
قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه
وكانوا شرا فيها من كل عدو وحيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا
مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر
واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما
كان لمومن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله تعالى وما كان
لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها ان يقتل مومنا ابتداء غير قصاص
الا خطا الا على وجه الخطا فان قلت بم انتصب خطا قلت
بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا وحده
ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطا
وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطا والمعنى ان من شان المومن ان ينتفي
عنه وجود قتل المومن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطا من غير قصد
بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم

خطا

خطا بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي
ربيعة وكان اخا لابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المد ينه
وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا
تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث
بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة
والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت
على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده
كل واحد مائة جلدة فقال للحرث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجد تك
خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم
هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر
باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة والتحرير الاعتا ق
والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل
وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلا ن
عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها
بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد برقبة مومنة كل رقبة
كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي الا رقبة
قد صلت وصامت ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظها ر
فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مومنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل
نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان
الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء
يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يكن وارث فهي لبيت
المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بديته

المقبول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لها لا اعلم
لك شيئاً انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك
ابن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامرني ان اورث امراة اسيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها
عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك
لا تقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين
وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فان قلت** على من تجب الرقبة
والدية **قلت** على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها العاقلة
عنه فان لم يكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي بيت المال
فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية
ومعناه العفو لقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرا ابي الا ان يتصدقوا **فان
قلت** بم تعلق ان يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه او
بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها
النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس
ما دام زيد جالساً ويجوز ان يكون حالاً من اهله بمعنى الا متصدقين
من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه
الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله
خطا وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل
يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش من المسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم
يظنونه كافراً مثلهم وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي كفرة لهم ذمة
المشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه
حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها
فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولاً من الله ورحمة منه
من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه هذه الاية

فيها

فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب
غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن
عمداً غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة
له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله بالتغليظ والتشديد
والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلاً وفي الحديث
لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلاً
قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان ن
بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على مؤمن بشطر كلمة
جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله والعجب من قوم
يقرؤن هذه الاية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة
وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا يدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة
واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن
قاتل المؤمنين من غير توبة ولا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها لها
ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطا لما عسى يقع من نوع
تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه للاطماع واي حسم ولكن
لا حياة لمن تنادي **فان قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب
من اهل الكبائر **قلت** ما ابين الدليل فيها وهو تناول
قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا
ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات
بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال
اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم
والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية
اهل الاسلام لست مؤمناً وقرئ بفتح الميم من امنه اي لا نؤمنك واصله
ان مرداس بن نهيك رجل من اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غيره
فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب ابن فضالة

النبي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى
قول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد
رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة
ما معه ثم قرأ الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف
بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت
الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التحفظ وقلة
البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل
رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم
من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت
دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن
الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما
فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الايمان مثل ما فعل بكم وان تعتبروا
ظاهر الاسلام في المكافاة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق
النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله تعالى وقوله
فتبينوا تكرير للامر بالتبين ليؤكد الامر عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا
فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي الضرر المرض
او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي
حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فقال ابن ام
مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المسلمين
فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي

نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس
لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك
فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما
فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم
والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز
للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب
الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله
المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه
قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر
لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة هذا الوصف وكلا وكل فريق
من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة
وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا
الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم
تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت
قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت
اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما
الذين فضلوا درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم [illegible]
في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت [illegible]
درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها
موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى
ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات
ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة
كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلا ونصب

اجرا عطفا على انه حال عن النكرة التي هي درجات تقدمت عليها
وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة
ورحمة توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرا توفتهم ومضارعا
بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان
الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها
ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم
اي في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين
كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين
في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في
كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء
من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا
من الهجرة حتى يكونوا في شيء ولم يهاجروا فبكتتهم الملائكة بقولهم الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج
من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة
وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب
لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده
اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت
له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي
اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو
من فضلك والمبتغى من رحمتك فصل جواري لك بعكوفي عندك بجوارك
في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين
لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك

ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها
وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد
وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى
عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي
رحمهم الله لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه
الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة
وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا
فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون
من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير
العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا
مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز
ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه
قيل قسمة مفروضة وروي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امراته
ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة
ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون
لا يورث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة فجاءت ام
كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا
من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى بين فنزلت
يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم
واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم
منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن
كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا
لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون
فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق

وروى ان عبد الله بن عبد الرحمن ابن ابى بكر رضى الله عنه قسم ميراث
ابيه وعايشة رضى الله عنها حية فلم يدع احدا فى الدار الا اعطاه
اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية
الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما
نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قولا معروفا ان يلطفوا لهم
القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما
اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعى ادركنا الناس
وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق
والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق
وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم
لو مع ما فى حيزه صلة الذين والمراد بهم الاوصيا امروا بان يخشوا الله
فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم
لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه
حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى
وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض
فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيا فقدم مالك فيستغرقه
بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا
عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون
امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفا اقاربهم واليتامى
والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضايعين محتاجين
هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا
وجوابه صلة الذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو
شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم
الضياع بعد الذهاب كانهم وكانه كما قال القايل لقد زاد الحيوة
الى حبا بناتى انهن من الضعاف احاذر ان يرين البوس بعدى وان يشربن

رنقا

رنقا بعد صافى وقرى ضعفا وضعافى نحو سكارى وسكارى
والقول السديد من الاوصيا ان لا يوذوا اليتامى ويكلموهم كما
يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى
ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف
فى وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسعد انك ان تترك ولدك اغنيا خير من ان تدعهم عالة يتكففون
الناس وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية
الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين
ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه
الظلم من اوليا السو وقضاته فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل
فلان فى بطنه وفى بعض بطنه قال كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ومعنى
ياكلون فى بطونهم نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار فى الحقيقة
وروى انه يبعث اكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره
ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال
اليتيم فى الدنيا وقرى سيصلون بضم اليا وتخفيف اللام وتشديدها
سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم و مركم
فى اولادكم فى شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال
تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ
الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدا ببيان حظ الذكر لفضله
كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد
الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان
نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد
الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث
وهو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب
الاناث فلا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع ادلايهن من القرابة بمثل

ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل
للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا
اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في
حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان الثلثين
والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو
قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم
اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم
فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن
رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا
لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت
واحدة وان كانت البنت المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها
النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق
لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في
للميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان
قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من
الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء
وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه
لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق
للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح
ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا
لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن
نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا
لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل
حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد هاهنا ان يميز بين كون البنت
مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين

في حال

في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد
ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت
اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله
تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر
مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به
قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم
الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك
يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن
من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم
ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس
رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا
ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما
وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت
مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها
لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت
ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل
انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولا
بويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى
خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي فائدة
في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل
بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير
والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا
الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع
والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان

كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس فان كان انثى عصب مع اعطاء
السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع
عدمه تملا فقيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واى فايدة في قوله
وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب
فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا
ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب
الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا
تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في
ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان
الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في
قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه
يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين
الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا
ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام
الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب
الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه
السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب
فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان
فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه
الام فان قلت كيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية
قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية
كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع
المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها
لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية من بعد وصية متعلق
بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه

الانصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصى بها بالتخفيف
والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما
معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم
على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم
قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت
لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض
كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها
فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى
ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى
اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب
ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
من انفع لكم من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من
لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء
وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر
عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا
ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة
الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان
اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان
كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك
الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون
في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرايض على ما هو
عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال
على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك
الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا
وليس شيء من هذه الاقاويل بملايم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة

اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه
والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض
ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض
وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت
المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب
والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت
ويورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان
وان كان رجل يورث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة
حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد
على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت
ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا
والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم
ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن
والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من
الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها عن كلالة فاستعيرت للقرابة
من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة
واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول
فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة
والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الاية فعلام
نصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث
على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث
فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ قلت
الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير
اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل
تبقى هذه الفائدة ثابتة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت

السدس

وقف المرحوم الشيخ عبد العال برواق الريافه

١٧٦

السدس له او لواحد من الاخ ام او الاخت على سئل عن الكلالة
فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني
ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن
عطاء والضحاك ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد
والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد
بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام ويدل عليه قراءة
ابي وله اخ او اخت من الام وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام
وقيل انما استدل على ان الكلالة هاهنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في
اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ان هاهنا لما
جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزاد على الثلث شيئا انه
يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من
سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار
حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على
الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه
الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن
المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من
الله مصدر مؤكد اي يوصيكم الله بذلك وصية كقوله فريضة من الله
ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث
فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة
باسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية بالا ضافة
والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا
وعيد فان قلت في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف
يعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عمل في قوله تعالى فلهن ثلثا ما
ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال
فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصى فينتصب عن فاعله

لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم
فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل
عليه يسبح كان غير مضار حالا لما يدل عليه يوصى بها تلك اشارة
الى الاحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها
حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للموقتة للمكلفين لا يجوز لهم
ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون
وكذلك ندخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه
وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين
لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير
وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ياتين الفاحشة يرهقنها
يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفى قراءة ابن مسعود
ياتين بالفاحشة والفاحشة الزنى لزيادة قبحها على كثير من القبائح
فامسكوهن فى البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات فى بيوتكم وكان
ذلك عقوبتهن فى اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزانى الاية
ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب
والسنة ويوصى بامساكهن فى البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن
مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال
او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذى يستغنين به عن السفاح
وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت
ما معنى يتوفاهن الموت والتوفى والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن
الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين
تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى
ياخذهن الموت ويستوفى ارواحهن واللذان ياتيانها منكم يريد الزانى
والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما
الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ

والمذمة

والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون
خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهدد يدعها
بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا
تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين وقرئ
واللذانّ بتشديد النون واللذأنّ بالهمزة وتشديد النون التوبة
من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعنى انما القبول والغفران واجب
على الله تعالى لهؤلاء بجهالة فى موضع الحال اى يعملون السوء جاهلين
سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه
الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته
من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى
الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت
الذى لا تقبل فيه التوبة فبقى ما وراء ذلك فى حكم القريب وعن ابن عباس
قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو
قريب وعن النخعى ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل
موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض
وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه فى جسده فقال وعزتى لا اغلق
عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من فى قوله من قريب
قلت معناه التبعيض اى يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود
المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففى اى جزء تاب من اجزاء هذا
الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله
فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت قوله
انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات
وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفى بما وجب عليه واعلام بان
الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف

على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت
وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال
الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف
الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك
اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين
ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات
اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد
الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في
الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على
سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت
ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان
مصدقا ومات وهو لم يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر
لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت م كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا
ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب
من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل
احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن على سبيل
الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل
كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير
راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها
مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان
يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج
واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم
في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفا

الزنى فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا
اصابت امراة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي
قلابة ومحمد ابن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة
لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك
بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف
وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن
فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح
في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر
في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف
امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه
بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج الاية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته
ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال يصف ناقة كقنطرة الرومي
اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه
انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت
مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت
اليه امراة فقالت يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله
يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه
تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست
من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه
لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين
وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال
جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به
منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته

وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين
الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد
انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن
النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم
وناس منهم يمقتونه من ذوي مروايهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود
عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين
الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين
وقري لا تحل لكم بالتا على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من
الكراهة والاكراه وقري بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت
او بينت كما قري مبينة بكسر اليا وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه
في موضع الحال واتيتم احديهن بوصل همزة احديهن كما قري فلا اثم عليه
فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان
ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النسا ولا ان تعضلوهن
فان قلت اي فرق بين تعديه ذهب بالبا وبينها بالهمزة قلت
اذا عدي بالبا فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا
به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان ياتين ما هذا الاستثنا
قلت هو استثنا من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا
تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن
لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله
فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما
تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباوكم قلت كما
استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما
قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة

في

في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما تعلق بالمحال في التابيد في نحو
قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم
امهاتكم تحريم نكاحهن ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا لان تحريم نكاحهن
هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم
لحم الخنزير تحريم اكله وقري بنات الاخ بتخفيف الهمزة وقد نزل الله
الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة ام الرضيع والمراضعة اختا
وكذلك زوج المرضع ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له
من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه ومن ولد
لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع
كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت
ابنه من النسب ويتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى في النسب
وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثاني لا يجوز ان يتزوج
ام اخته من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطؤه
اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم
ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال
له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات
نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن
وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب
فتكون حرمتهن غير مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين
خلاف معنى مع الاخر الا تراك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن فقد جعلت من لبيان النسا وتمييز المدخول بهن من غير واذا قلت
وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتدا الغاية كما
تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعني
بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان ولا يجوز الثاني لان الذي يليه هو

الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد أعلقه
بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى والمنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض فإني لست منك ولست مني ما أنا من دد
ولا الدد مني وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن كما أن الربائب
متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على أن تحريم أمهات
النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن
يدخل بها قال لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن
عمران بن الحصين أن الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة
فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله إلا ما روي عن
علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير أنهم قرؤوا وأمهات نسائكم اللاتي
دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل إلا هكذا وعن جابر
روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها
كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت
مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المرأة من غير
زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده في غالب الأمر ثم اتسع فيه
فسميا بذلك وإن لم يربهما فإن قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت
فائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم
وفي حكم التقلب في حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج
وثبتت الخلطة والألفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت
الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم فكأنكم في العقد على
بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه أنه شرط ذلك في التحريم وبه
أخذ داود فإن قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن
الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهن الستر
والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة

وعن

وعن عمر رضي الله عنه أنه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال
إنها لا تحل لك وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال
أما إني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر قالوا
النظر المراد إلى الفرج وعن الحسن الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة
أو يقبلها أو يكشفها أنها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن أبي سليمان
قالوا المراد بالنظر النظر إلى الفرج إذا نظر الرجل إلى فرج المرأة فلا ينكح
أمها ولا ابنتها وعن الأوزاعي إذا دخل بها فعراها ولمسها بيده وأغلق
الباب وأرخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس
وعمرو بن دينار أن التحريم لا يقع إلا بالجماع وحلائل الذين من أصلابكم دون
من تبنيتم به وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
الأسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن
حارثة وقال عز وجل لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
وأن تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات أي وحرم عليكم الجمع بين
الأختين والمراد الجمع بالنكاح وأما الجمع بينهما بملك اليمين فعن عثمان
وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا أحلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه
الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل إلا
ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله إن الله كان غفورا
رحيما بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر قوله تعالى والمحصنات
القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ بكسر الصاد وهن
ذوات الأزواج لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات
إلا ما ملكت أيمانكم يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج
في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وإن كن محصنات وفي معناه
قول الفرزدق وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق
كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضا
وهو تحريم ما حرم فإن قلت علام عطف قوله وأحل لكم قلت

على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم
ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليمانى كتب الله عليكم
واحل لكم وروى عن اليمانى كتب الله عليكم على الجمع والرفع اى هذه
فرايض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البنا للمفعول فقد عطفه على
حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون
ابتغاوكم باموالكم التى جعل الله لكم قياما فى حال كونكم محصنين غير
مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا
دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة
وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام والاموال المهور وما يخرج فى المناكح
فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء
والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان
تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى
وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحينى وماذينى من المذى فما استمتعتم
به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد
عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله
ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما فى معنى النسا
ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ فى به وعلى المعنى
فى فآتوهن واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال
من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتا لان الايتا مفروض او
مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما
تحط عنه من المهر او تهب له من كله او تزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا
به من مقام او فراق وقيل نزلت فى المتعة التى كانت ثلثة ايام حين
فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة
او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها سميت
متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج

امراة